

يا عبادَ الله النَّبات
إعداد
أ.د. صالح حسين الرقب

الطبعة الثانية
1442هـ-2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ - الأنفال: 45.

- وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي
أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ - آل
عمران: 147.

- وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا -
الإسراء: 74.

- قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى
وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ - النحل: 102.

المقدمة...

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنُسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد....

فإنَّ المسلمينَ اليومَ يعيشونَ في زمنٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْفِتَنُ، وَعَمَّتْ فِيهِ مِنَ الْبَلَايَا وَالْمَحَنِ وَالنَّوْازِلِ، وَالْخَطُوبِ الْجَسَامِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ بَعْدِهِمْ عَنِ مَنَهِجِ الْإِسْلَامِ شَرِيعَةً وَعَقِيدَةً، وَتَفْشِي الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتُ فِي بِلَادِهِمْ، ثُمَّ لَتَسْلُطِ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ فِكْرِيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا، وَلْتَقَاعِصِ الْعُلَمَاءِ وَالِدَّعَاةِ عَنْ وَاجِبِهِمْ فِي تَثْبِيْتِ الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ، وَتَوْعِيْتِهِ بِدِينِهِ تَوْعِيَةً مُبْصِرَةً.

وإنَّ مِمَّا يَحْرُصُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ الصَّادِقُ هُوَ التَّمَسُّكُ بِالذِّينِ فِي جَمِيعِ مَنَاحِي الْحَيَاةِ، ففِيهِ النَّجَاةُ وَالْعِصْمَةُ مِنَ الْفِتَنِ وَالشُّرُورِ وَالْمَكَائِدِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَمِمَّا يَحْزُنُ فِي النَّفْسِ أَنْ نَرَى الْيَوْمَ نَفْرًا مِنْ بَنِي جَلْدَتْنَا قَدْ ارْتَمَوْا فِي أَحْضَانِ الْكُفَّارِ، وَتَنَازَلُوا عَنِ دِينِهِمْ مَدَاهِنَةً لِأَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَمَا زَادَهُمُ الْكُفَّارُ إِلَّا عِتْوًا وَنَفُورًا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَاسْتِخْفَافًا بِهِ بِالتَّمَسُّكِ بِتَعَالِيمِهِ، وَامْتِهَانًا لِلْمُسْلِمِينَ.

لَمَّا عَمَدَ عُلَمَاءُ السُّوءِ إِلَى تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَدْنَى

الحيل فكان ذلك سبباً في الصدّ عن دينِ الله تعالى، وامتناع
الكثيرين من الدخولِ فيه.

وإنَّ ممَّا يجبُ للمسلم أن يسألَ الله عزَّوجلَّ أن يُنَبِّتَ قلبه
على الدين، وألاً يصرفه عنه، كما صرفَ عنه قلوبَ كثيرٍ من
الخلق، قال تعالى: **وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ** - الأنعام
116.

معنى النَّبَات:

النَّبَات لغة:

النَّبَاتُ في اللغة: نَبَتَ نَبَاتًا، ونُبوتًا: استقرَّ. ويقال: ثبت
بالمكان: ونَبَتَ، ونَبَاتَةً، ونُبوتَةً: صار ذا حزمٍ ورزانةٍ. يُقال: فلانٌ
ثابتُ القلب، وثابتُ القَدَم. فهو نَبَتٌ، ومعناه الرسوخُ على الأمرِ،
يقال: (رسخَ الشيءُ ثبتَ وبأبه خَضَعَ، وكلُّ ثابتٍ راسخٌ، ومنه:
الراسخون في العلم)، والمداومةُ عليه، وعدمُ التَّحولِ، أو التَّرَحُّجِ
إلى غيره. جاء في مختارِ الصحاح: "ثبت الشيءُ من بابِ
دخل، ونَبَاتًا أيضًا، وأثبتَه غيره، ونَبَتَه أيضًا، وأثبتَه السَّقْمُ إذا لم
يفارقه، ورجلٌ نَبَتَ بسكون الباء، أي: ثابتُ القلبِ، ورجلٌ له

ثَبَّتْ عِنْدَ الْحَمَلَةِ، بَفَتْحِ الْبَاءِ أَيْ ثَبَاتٌ، وَتَقْوُلُ لَا أَحْكُمُ بِكَذَا إِلَّا
بَثَبْتِ بَفَتْحِ الْبَاءِ أَيْ: بِحُجَّةٍ، وَالثَّبِيثُ الثَّابِتُ الْعَقْلُ".⁽¹⁾
الثَّبَاتُ اصْطِلَاحًا:

نَعْنِي بِالثَّبَاتِ هُنَا: الْاسْتِمْرَارُ فِي طَرِيقِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ،
وَهُوَ صِرَاطُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْإِلْتِمَازُ بِمَقْتَضِيَاتِ هَذَا الطَّرِيقِ،
وَالصَّبْرُ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ، وَالصَّبْرُ بِتَحَمُّلِ الْأَذَى وَالِابْتِلَاءَاتِ فِي
سَبِيلِ ذَلِكَ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَدَاوِمَةِ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ،
وَالسَّعْيِ الدَّائِمِ لِلِاسْتِرَادَةِ مِنْهُ تَقَرُّبًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَدْ عَرَّفَ الْإِمَامُ حَسَنُ الْبَنَّا الثَّبَاتَ بِقَوْلِهِ: "أَنْ يَظُلَّ الْأَخُ
عَامِلًا مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ غَايَتِهِ، مَهْمَا بَعَدَتِ الْمُدَّةُ، وَتَطَاوَلَتِ
السَّنَوَاتُ وَالْأَعْوَامُ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ فَازَ بِإِحْدَى
الْحُسْنَيْنِ، فَإِمَّا الْغَايَةَ، وَإِمَّا الشَّهَادَةَ فِي النِّهَايَةِ: **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** الْأَحْزَابُ: 23".⁽²⁾

وَمِنْ مَعَانِي الثَّبَاتِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْقَلْبِ، أَيْ ثُبُوتُ الْقَلْبِ عَلَى
مُحِبَّتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، مَعَ كَوْنِهِ مُقِيمًا عَلَيْهِ لَا يَرُومُ عَنْهُ انْتِقَالَ، وَلَا
يَبْغِي عَنْهُ زَوَالَ، قَدْ اتَّخَذَ لَهُ فِي سُورَةِ سُوْدَاءِ قَلْبِهِ وَطَنًا، وَجَعَلَهُ لَهُ

1- مختار الصحاح: أبو بكر محمد الرازي 35/1.

2- مجموعة الرسائل: الإمام حسن البناء، المؤسسة الإسلامية ص 363.

سكناً، تزولُ الجبالُ الرَّاسياتُ وقلبهُ على العهدِ لا يلوي ولا يتغيَّر. (1) وإذا فترتْ همَّةُ المرءِ المسلمِ، فهناك حدٌّ معينٌ لا يقبلُ التنازلَ عنه أو التَّقْصيرَ فيه، وإنْ زلَّتْ قدمُه فلا يلبثُ أن يتوبَ، وريماً كان بعد التَّوبَةِ خيراً ممَّا كان قبلها، ذلك هو حالُ المُتَّصِفِ بِخُلُقِ النَّبَاتِ.

حماسٌ في بداياتِ الطريقِ:

كثيراً ما نجدُ شباباً اليومَ يحثُّونَ إلى بداياتِ طريقِ الهدايةِ والدعوةِ التي كانوا فيها أكثرَ نشاطاً وحيويةً، ويتدفَّقونَ حماساً، ويبالغونَ في الحرصِ على دقائقِ السُّنَنِ، وبيتعدونَ عن دائرةِ الشُّبُهَاتِ، فضلاً عن الحرامِ، ثمَّ تملُّ النُّفوسُ، وتكِلُّ وتفتُرُ الهممُ، ويتقاعسُ عن العملِ، ويكتفى بعضُ الشبابِ بأن يكونوا من عامَّةِ المسلمين، بل بعضهم ممَّنْ يَنقلبُ - والعياذُ بالله - على أعقابِهِ، فيغدوَنَ ممَّنْ، يعادونَ الدَّعوةَ إلى الله ويسخَرونَ من أهلِها، ويحذِّرونَ من سبيلِها، إنَّها إذاً معركةٌ تقريرِ المصيرِ بين الارتدادِ على الأعقابِ أم النَّبَاتِ. وأمثالُ هؤلاء يَنقصُهم الإخلاصُ، ولمْ يستبينْ لهم هدفاً أو غايةً، ولكن بالإخلاصِ تَهونُ المتاعِبُ في طريقِ الدَّعوةِ، وتَصغرُ المشاقُ في طريقِ

1- بائع الفوائد: ابن القيم 320/2.

هداية القلب، ومن كان له هدفٌ صحيحٌ وغايةٌ عظيمةٌ واصلَ
جهدهَ ليلَه بنهاره حتى يصلَ مبتغاه، ويَحَقِّقَ هدفه، قال رسولُ
الله عليه الصلاة والسلام: "من خافَ أدلجَ، ومن أدلجَ بلغَ
المنزلَ، ألا إنَّ سلعةَ اللهَ غاليةً، ألا إنَّ سلعةَ اللهَ الجنةُ"، (1)
وعكسُ حالةِ الإخلاصِ: إرادةُ شيءٍ من عرضِ الدنيا، فقد تكونُ
دعوتهُ أو يكونُ جهادهُ، أو تَعَلُّمُهُ أو تعليمُهُ لأجلِ شيءٍ من
الدنيا، فإذا لم يحصلَ له مرادهُ جزعَ وسَخِطَ، وسَقَطَ في أوَّلِ
الطَّرِيقِ؛ فالوقودُ إذا فاسدًا، والمركبةُ تالفةً. قال الله تعالى: **وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ
أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** - الحج:11، وقال: **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا
بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ
نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي
صُدُورِ الْعَالَمِينَ** - العنكبوت: 10.

1- رواه الحاكم 7851، 4/ 334، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم
يخرجاه، والترمذي 2450. 633/3.

صورُ ومواطنُ الثَّباتِ:

إنَّ صورَ ومواطنَ الثَّباتِ كثيرةٌ، نكتفي بذكرِ بعضها:

أولاً: الثَّباتُ في الفتن:

أحاديثُ الفتن: نذكرُ هنا بعضاً منها:

1- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "بادروا الأعمالَ فتناً كقطعِ الليلِ المُظلمِ، يُصبحُ الرَّجلُ مؤمناً، ويُمسي كافرأً، ويُمسي كافرأً، ويصبحُ كافرأً، يبيعُ دينه بعرضٍ من الدنيا".⁽¹⁾

2- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "يتقاربُ الزمانُ، ويقبضُ العلمُ، وتظهرُ الفتنُ، ويُلقى الشُّحُ، ويكثرُ الهرجُ، وقالوا: وما الهرجُ يا رسولُ الله ؟ قال: القتلُ".⁽²⁾

1- رواه مسلم 110/1، 118 باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، الترمذي 487/219، 4، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم.

2- البخاري 1، 350/989، باب ما قيل في الزلازل والآيات، مسلم 2057، 2672/4، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان.

3- عن أسامة: ثُمَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَفَ عَلَى أَطْمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى، إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بِيوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ". (1)

4- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَادًا فَلْيَعُدْ بِهِ". (2) وفي رواية: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ: أَلَا تَمَّ تَكُونُ فِتْنَةُ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ، أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيُلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيُلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيُلْحَقْ بِأَرْضِهِ قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَذُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ،

1- رواه البخاري 664/2، 1779، باب أطام المدينة، 6، 2589/6651، باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها، مسلم، 4، 2211/2885، باب نزول الفتن كمواقع القطر.

2- رواه البخاري 6703، 6/2605، باب خروج النار وقال أنس قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، رواه مسلم 2886، 4/2211، باب نزول الفتن كمواقع القطر.

ثُمَّ لِيُنْجِ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟
 اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ
 أَكْرَهْتُ حَتَّى يُنْطَلِقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَقَيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِتْنَيْنِ،
 فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: يَبُوءُ بِإِثْمِهِ
 وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ". (1)

5- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ رسول الله ليلة
 قرعاً يقول: سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل
 من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحُجراتِ لكي يُصَلِّيْنَ، فربَّ
 كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ في الآخرة". (2)

6- عن عبد الله بن عمرو قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصَلِّحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا
 مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَسْرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا
 عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنذِرُهُمْ شَرَّ مَا
 يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَاقِبَتُهَا فِي أَوْلَاهَا، وَسَيُصِيبُ

1- رواه مسلم باب نزول الفتن كمواقع القطر 2887، 2211/4.

2- رواه البخاري، 1، 54/115، باب العلم والعظة بالليل، 6657، 2591/6،

باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه.

آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُتَكْرَمُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرْقَقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَتَكَشَّفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيئُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ". (1)

7- عن عروة بن الزبير قال حَدَّثَنِي كُرُزُ الْخُرَاعِي قَالَ: قَالَ: يَا أَعْرَابِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِهَذَا الْإِسْلَامِ مِنْ مُنْتَهَى؟ قَالَ: "نَعَمْ مَنْ يُرِدِ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ أَدْخَلَهُ عَلَيْهِمْ، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ثُمَّ تَقَعُ فِتْنٌ كَالظُّلْمِ"، قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَعُودَنَّ فِيهَا أَسَاوِدٌ صُبًّا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ فَخَيْرُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ مُؤْمِنٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَنْقِي اللَّهُ وَيَذُرُّ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ". (2)

8- عن علي رضي الله عنه، قَالَ ثُمَّ جُعِلَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَمْسُ فِتْنٍ، فِتْنَةٌ عَامَّةٌ، ثُمَّ فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ، ثُمَّ فِتْنَةٌ عَامَّةٌ، ثُمَّ فِتْنَةٌ

1- رواه أحمد 6793، 191/2، مسلم 1842، 1742/3، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

2- رواه ابن حبان 5956، 287/13

خاصةً، ثُمَّ تَأْتِي الْفِتْنَةُ الْعَمِيَاءُ الصَّمَاءُ الْمَطْبِقَةُ الَّتِي تَصَيَّرُ
النَّاسَ فِيهَا كَالْأَنْعَامِ". (1)

ومن أنواع الفتن:

فتنة المال:

قال تعالى: **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** الأنفال:28. وقال تعالى: **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** التغابن:15، قال مقاتل: أي بلاءٍ وشغلٍ عن الآخرة، قال ابن عباس: فلا تطيعوهم في معصية الله تعالى، وقال الزجاج: أعلمهم الله عز وجل أن الأموال والأولاد مما يفتنون به، وهذا عام في جميع الأولاد، فإن الإنسان مفتون بولده لأنه ربما عصى الله تعالى بسببه، وتناول الحرام لأجله، ووقع في العظائم إلا من عصمه الله تعالى. (2) وقال تعالى: **وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ فَلَئِمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ التوبة:** 75-76. وقال تعالى: **فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِن**

1- رواه الحاكم في المستدرک 8350، 4/485، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

2- إغاثة اللهفان: ابن قيم الجوزية 2/160.

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ - الزمر: 49. وفي الترمذي من حديث كعب ابن عياض قال: سمعتُ رسولَ الله يقولُ: "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ".⁽¹⁾

فِتْنَةُ الْجَاهِ وَالْمَنْصَبِ:

قال تعالى: **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا** - الكهف: 28، ومن فتنة الجاه: الوظيفة، والمنصب، فكَم من متواضعٍ ركبَ أسبابَ التَّكَبُّرِ بسببِ وظيفتهِ ومنصبه، وكَم من عفيفٍ استغلَّ وظيفتهِ فصارَ تهماً إلى المال، بأي طريقٍ جاءه، بعد أن كان ورعاً في أدنى الشُّبُهَاتِ، فلَمَّا أصبحَ صاحبَ منصبٍ، أو جاهٍ صارَ لا يتورَّع عن ارتكابِ المحرماتِ، بل أصبحَ يزيِّنُ الباطلَ لأقرانهِ ورؤسائه، ويستحلُّ محارمَ الله بأدنى الحيل، ويتكَبَّرُ على عبادِ الله تعالى.

وعن خطورةِ الفتنتينِ السابقتينِ -المال والجاه- قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما ذنبانِ جائعانِ أرسلا في غنمٍ بأفسدَ لها من

1- الترمذي، 2336، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، وقال هذا حديث حسن صحيح.

حرص المرء على المال والشرفِ لدينه".⁽¹⁾ والمعنى أن حرص المرء على المال والشرفِ أشدُّ فساداً للدين من الذئبين الجائعين للغنم.

إنَّ فتنَةَ الجَاه والاستجابة لإغراءات المناصب هي فتنَةٌ أشدُّ بلاءً من فتنَةِ الابتلاء بالضرَّاء، فقد نجدُ أناساً يصبرون على فتنَةِ الابتلاء بالضرَّاء، ويُوفِّقون في اجتياز هذه المحنةِ بنجاحٍ بينما يسقطون في شركِ الابتلاء بالسرَّاء، من أجل ذلك وجدنا رسولنا الكريمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّفُ على أمته من هذه الفتنة، فيقول عليه الصلاة والسلام: "مَا الْفَقْرَ أَحْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَحْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَنَافَسُوهَا كَمَا نَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ".⁽²⁾

ولعلَّ أوَّلَ ما يجبُ على مَنْ يريدُ للأمةِ الخيرَ وينشدُ لها السيادةَ والريادةَ أنْ يتأكَّدَ من حالِ الذين تقدَّموا الصفوفَ وبرزوا،

1- رواه ابن حبان في صحيحه 3228، باب ما جاء في الحرص وما يتعلق به، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من مجانبة الحرص على المال والشرف، إذ هما مفسدان لدينه، الإمام أحمد في المسند 456/3-460، وهو في صحيح الجامع 5496.

2- البخاري: 3712.

لأنَّ صلاحهم صلاحٌ للأتباع، وإذا ما فسدوا فاقراً على الأتباع
السَّلام.

واليومَ يتعرَّضُ الدُّعاةُ الإسلاميون لامتحانٍ عسيرٍ لم يسبق
لهم أن خبروه وهو التَّربُّعُ على عرشِ السلطان في وزارةٍ، أو
هيئةٍ، أو مجلسِ نوابٍ، أو لجنةٍ محليةٍ، أو ما سوى ذلك من
مواقع التَّمكِّن، ويجدُ المرءُ نفسه أمامَ فتنةِ الاقتدار والسيطرة، كما
يرى مِنْ حوله مَنْ يكون قد درجَ في عهدِ الاستبدادِ على تمجيدِ
الأمْرِ صاحبِ السُّلطة، وتعظيمِ مقامِهِ، وإغرائهِ بالتعالِي،
وإيحاءِ له بأنَّ لا يفتحُ بابَهُ لكلِّ طارقٍ، ولا يردُّ بنفسه على أي
هاتفٍ، وأنَّ يُشعرَ الآخرين بأنَّ وقتَهُ ثمينٌ، فلا يراه النَّاسُ إلاَّ
في أجواءٍ خاصَّةٍ ووفقَ أعرافٍ يكون فيها صاحبُ المقامِ
المُهابِ، وأنَّ لا يتقدَّمُ في الحديثِ إليه أحدٌ إلاَّ من خلالِ سدَنَتِهِ
المحيطين بعرضِهِ، وقد ينسى أنَّ ما هو عليه لم يبلغه لأتته فلانٌ
فحسب، فيروحُ بيني لنفسِهِ مجدأً موهوماً، يظنُّ أنَّه سيرقى من
خلاله دونَ الحاجَّةِ إلى إخوانِهِ والمؤسسة التي انتدبتهُ، لكي يبذلَ
نفسَهُ في خدمتها، ويسعى جهده في تحقيقِ مقاصدها، فتكونُ
الخيانةُ للأمانةِ التي لا بدَّ أن تنتهيَ بصاحبها إلى غيرِ ما يؤمِّل،
فيسقطُ في الامتحانِ ويتجاوزُهُ النَّاسُ؛ لأنَّ الذي لا يُخلصُ لأهله
ومؤسستِهِ لا يمكن أن يكونَ شيئاً عندَ الآخرين، هذا فضلاً عن

أَنْ مَا نَحْنُ فِيهِ أَمْرٌ دِينٍ لَا يَصْلُحُ فِيهِ التَّعَالِي وَلَا التَّالِي؛
فالتواضعُ يرفعُ الناسَ؛ وبطانةُ المرءِ أخطرُ عليه من شيطانه إن
لم يزرع في روعهم مخافةَ الله تعالى والعمل الذي يحبه الله
تعالى، وهو النَّصحُ لأولي الأمرِ نصحاً خالصاً لوجهه تعالى.

فلا تُذهل يا من انتسبتَ إلى قافلةِ الدَّعوة.. ورفعتك إلى ما
أنتَ فيه اليومَ عن خُلُقِ نبيِّك وأسوتِكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسَلَّمَ بالتواضعِ لجميعِ الخلقِ. ومحوِ ذاتِكَ في ذواتِ إخوانِكَ
المؤمنين، وأنَّ لا تجعلَ من المنصبِ أو المركزِ الذي تبوأته
هيئلاً يُكَبِّتُ على النَّاسِ أنفاسَهُم، ويجعلك ألا ترى غيرَ نفسك،
ولا تترتاحُ إلا لرأيِكَ، وتغمطُ الآخرينَ حقَّهُم، وتكابرُ فيما ظهرَ
فيه خطوكَ عتواً وعلواً وزهواً، وأنتَ أدري بأنَّ المنتفشَ بريشه لا
يطولُ أمرُهُ، ولا يقوى عودُهُ، وهو لا محالةً إلى انقراضِ، وللذبابَةِ
أرفعُ عند النَّاسِ منه، لذا قيل: "المتكبرُ كالواقفِ على جبلٍ
شاهقٍ يرى النَّاسَ صغاراً ويرونه صغيراً"، وقيل أيضاً: "ما الكبرُ
إلا فضلٌ حمقٍ لم يدرِ صاحبه أين يذهبُ به، فيصرفه إلى
الكبرِ".

ذكر الأستاذ المربي محمد أحمد الراشد في كتاب "المسار" تحت
عنوان (دموع المربي): أنَّه رؤي سفيان الثوري حزيناً يوماً فقيل له:

مَالِك؟ فقال: صِرْنَا متَجَرًّا لأبناءِ الدُّنْيَا، يَلْتَزِمُ معنَا أَحدهم لفترةٍ، حتَّى إذا تَعَلَّم: جعل نفسه قاضيًا أو عاملاً...!!

يُعلِّقُ الأستأذُ الرَّاشدُ قائلاً: "إنَّها الحقيقتُ المؤلمةُ في حياةٍ كثيرٍ من الدَّعاة، تُعلِّمهم الدعوةَ الفصاحةَ واللباقةَ التي تُمكنهم من حيازةِ فرصٍ جيِّدةٍ، فإذا حازوها: فَنَرُوا، وتكَبَّرُوا واستكفوا!؟. فقد تصيرُ الدَّعوةُ متَجَرًّا لأبناءِ الدُّنْيَا، يلزمها الفردُ أحيانًا، حتَّى إذا صار موظفًا كبيرًا أو أستاذًا جامعيًا أو اختصاصيًا خبيرًا تَرَكها وانفرد بيني مستقبله!! كلمةٌ مرَّةً مرارةً العَلَمِ يَجِبُ أن يتقبلها الدَّعاةُ، وغداً كَتِفُ الدَّعوةِ يئنُّ لكثرةِ الذين حملتهم هذه الدعوةُ صغارًا، فإذا كَبُرُوا وارتقَوْا وحملوا شهاداتٍ عليا تكَبَّرُوا وتَنَكَّرُوا لها، بل وافتروا عليها، فتخلَّوا عن التزامهم، وأعملوا أفكارهم وأقلامهم لانتقادها والطعن فيها وفي رموزها!!!".

فتنةُ الرُّوجَةِ:

قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفُوا وَتَصَنَّفُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** التَّغَابِنُ: 14، وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "فتنةُ الرَّجُلِ في أهله وماله ونفسه".⁽¹⁾ قال ابن القيم في الآية: وقال

1- البخاري 502، 196/11، باب الصلاة كفارة. مسلم 141، 128/1، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وإنه بآرز بين المسجدين.

تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**، وليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من النَّاسِ أنَّها عداوة البَغْضَاءِ والمُحَادَاةِ، بل إنَّما هي عداوة المحبَّةِ الصَّادَةِ للأبَاءِ عن الهجرَةِ والجِهَادِ، وتَعَلُّمِ العِلْمِ وبِذْلِ الصَّدَقَةِ، وغير ذلك من أمورِ الدِّينِ وأعمالِ البِرِّ، كما في جاءَ عند الترمذي من حديثِ ابن عباس وقد سأله رجلٌ عن هذه الآية؟ قال: هؤلاء رجالٌ أسلموا من أهلِ مَكَّةَ، فأرادوا أن يأتوا النَّبِيَّ فآبَى أَرْوَاجَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ أن يدعُوهم أن يأتوا رسولَ الله، فلما أتوا رسولَ الله ورأوا النَّاسَ قد فقهوا في الدين همُّوا أن يعاقبوهم، فأنزلَ اللهُ تعالى قوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** الآية. (1)

فِتْنَةُ الأَوْلَادِ:

قال تعالى: **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** الأنفال:28. وقال تعالى: **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** التغابن:15، وقال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ**

1- سنن الترمذي 3317، 419/5، باب ومن سورة التغابن. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ - المنافقون:9، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الولدُ مجبنةٌ، مبخلةٌ مُحزنةٌ".⁽¹⁾

إنَّ متاعَ المالِ والأولادِ هي في نفسِ الأمرِ استدرأجٌ، وانتظارٌ لا إكرامٌ، وزيادةٌ خسارةٌ، ولهذا قال اللهُ تعالى على لسانِ نوحٍ: **قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا** نوح:21.

فتنةُ الاضطهاد والطغيان والظلم :-

يمثلُ هذه الفتنةَ أروعَ تمثيلٍ قولُ الله عزَّوجلَّ: **قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ** - البروج:4-9. وروى البخاري عن خباب بن الأرت رضي اللهُ عنه قال: شكونا إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو متوسدٌ بردةً في ظلِّ الكعبة، فقال عليه السلام: (قد كان من قبلكم يُؤخذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ له في الأرض، فيجعلُ فيها، فيجاءُ بالمنشار، فيوضعُ على رأسه، فيجعلُ نصفين، ويمشطُ بأمشاطِ الحديد، من دونِ لحمه وعظمه، فما يصدُّه ذلك عن

1- رواه الحاكم 3، 179/4769، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ابن ماجة في سننه باب ير الوالد والإحسان إلى البنات، 3665، أبو يعلى 2/305، وهو في صحيح الجامع 7037.

دينه".⁽¹⁾ ولذا فإنَّ المسلمَ يستعيذُ من فتنةِ الطُّغاةِ الظالمين، قال الله تعالى: **فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** - يونس: 85، وقال تعالى: **فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** - المؤمنون: 29، 28، وقال تعالى: **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** - القصص: 21، **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** - التحريم: 11.

وقال الشاعر⁽²⁾:-

وصرختُ في وجهِ الطُّغاةِ مغاضباً كُفوا عن التَّعذِيبِ والإيلامِ
 والله لَمَّا قطعتم لحمي أذىً وطحنتم قبل الممات عظام
 ما زغتُ عن هدي النَّبيِّ محمدٍ كلاً ولا نأفقتَ للحكَّامِ
 وممَّن فتنته الحكَّامُ الظلمةُ: الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ، ففي
 رمضانَ عام 220هـ - على يد الخليفة المعتصم - كانت محنةُ
 الإمام أحمد في القرآن الكريم، حيث ضُربَ بالسَّياطِ حتَّى شويَ
 جسمه، وزالَ عقله، ولكنَّهُ ثبتَ، ولم يُجبهُم ما طلبوه، فأطلقوا

1- البخاري رقم 3416، 3/1322.

2- وليد الأعظمي: أغاني المعركة ص 49-50.

سَرَاخَهُ. قَالَ هَلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ: "شَيْئَانِ لَوْ لَمْ يَكُونَا فِي الدُّنْيَا لاحتِجَّ النَّاسُ إِلَيْهِمَا: مَحْنَةُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، لَوْلَاهَا لَصَارَ النَّاسُ جَهْمِيَّةً، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِي فَإِنَّهُ فَتَحَ لِلنَّاسِ الْأَقْفَالَ".⁽¹⁾

فِتْنَةُ الدَّجَالِ:-

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ فِتَنِ الْمَحْيَا فِتْنَةَ الدَّجَالِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِتْنَةً عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْذُ ذُرًّا اللَّهُ أَدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.. يَا عِبَادَ اللَّهِ، أَيُّهَا النَّاسُ: فَانْتَبِتُوا فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِلَّا هُوَ قَبْلِي نَبِيٌّ..".⁽²⁾ وَكُونَ فِتْنَةَ الدَّجَالِ الْكَذَّابِ أَعْظَمَ الْفِتَنِ لِمَا اقْتَرَنَ بِدَعْوَاهِ لِلإِلَهِيَّةِ بَعْضُ الْخَوَارِقِ، وَأَتَى بِشَبَهَاتٍ فُتِنَ بِهَا الْخَلْقُ. ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ".⁽³⁾ وَثَبِتَ عَنْ

1- حلية الأولياء للأصفهاني: 181/9.

2- رواه ابن ماجه 1359/2 انظر صحيح الجامع 7752.

3- رواه مسلم رقم 588، 589، 412/1.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ".⁽¹⁾ وفي أَشَدِّ مَا يَلْقَاهُ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْفِتَنِ حِينَ يَخْرُجُ الدَّجَالُ، وَيَعِيثُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ الْأَسَاسِيَّةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي يُوصِي بِهَا أُمَّتَهُ حِينَذَلِكَ: "يَا عِبَادَ اللَّهِ اثْبَتُوا".⁽²⁾ أَي لَازِمُوهُ وَدَاوِمُوا عَلَيْهِ.

إِنَّ التَّقْلِبَاتِ الَّتِي تَصِيبُ الْقُلُوبَ سَبَبُهَا الْفِتْنُ، فَإِذَا تَعَرَّضَ الْقَلْبُ لِفِتْنِ السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ فَلَا يَثْبُتُ إِلَّا أَصْحَابُ الْبَصِيرَةِ الَّذِينَ عَمَّرَ الْإِيمَانُ قُلُوبَهُمْ، وَأَخْلَصُوا تَوْحِيدَهُمْ وَدِينَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى.

وعن مراحل ثبات القلوب وزيجها أمام الفتن يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عُرِضَتْ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عَوْدًا عَوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرِبَهَا نَكَّتَتْ فِيهِ نَكْتَةً سُودَاءَ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكَّتَتْ فِيهِ نَكْتَةً بِيضَاءَ، حَتَّى يَصِيَّ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلَ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مَرِيدًا، كَالْكُوزِ مُجْحِيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مَنكِرًا،

1- رواه مسلم 809 في صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي.

2- رواه الحاكم 8508، 538، 8614/4، 575/4، الترمذي 2240، 510/4، باب ما جاء في فتنة الدجال. وسنن ابن ماجه 2، 1356/4070.

إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ".⁽¹⁾ ومعنى (عرض الحصير): أي تؤنرُ
الفتنُ في القلبِ كتأثيرِ الحصيرِ في جنبِ النائمِ عليه. ومعنى
(مريداً) بياضٌ شديدٌ قد خالطه سوادٌ، مجخياً: أي مقلوباً
منكوساً.

ثانياً: الثَّباتُ أمامَ الأعداءِ بالثَّباتِ في الجهاد:

ومن صور الثَّباتِ: الثَّباتُ في ساحةِ المعارك، كما ثبت
الرَّبيُّون من الأنبياءِ وأتباعِهِم، وكان قولهم: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتَبَّتْ أَعْدَامُنَا آلَ عِمْرَانَ: 147، قَالُوا رَبَّنَا
أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَّتْ أَعْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ -
البقرة: 250، وقال تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيهُنَّ النساء: 66، وقال تعالى: إِذْ يُوحِي إِذْ
يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّثُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَتِي فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ
كُلَّ بَنَانٍ - الأنفال: 12، وقال تعالى: يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ
وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ - إبراهيم: 27. وقال تعالى: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ

1- رواه الإمام أحمد 504,386/23328، ومسلم 1,129/144، باب
بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وإنه بآرز بين المسجدين، واللفظ
له.

الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُنَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ۔ النحل:102 وقال تعالى: **إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً**
مِنْهُ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُنَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ۔ الأنفال:11،
وقال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُنَبِّتْ**
أَقْدَامَكُمْ۔ محمد:7.

وكما ثبتت الفئة الصابرة تحت إمرة طالوت الذين قال الله
فيهم: **وَلَمَّا بَرَّرُوا لِحَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا**
وَنَبِّتْ أَقْدَامَنَا۔ البقرة:250، وفي ذلك توجيه للمؤمن أن يلتجئ
إلى الله طالباً منه التثبيت، وخوطب أبناء هذه الأمة بأمر الله
تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا۔** الأنفال:45.

يقول سيد قطب في ضلاله: "فأما الثبات فهو بدأ الطريق إلى
النصر، فأنبت الفريقين أغلبهما، وما يدري الذي آمنوا أن عدوهم
يعاني أشد مما يعانون، وأنه يألم كما يألمون، ولكنه لا يرجو من
الله ما يرجون، فلا مدد له من رجاء في الله يثبت أقدامه وقلبه!
وأنهم لو ثبتوا لحظة أخرى فسينخذل عدوهم وينهار، وما الذي
يزلزل أقدام الذين آمنوا وهم واثقون من إحدى الحسينين: إما
الشهادة وإما النصر؟ بينما عدوهم لا يريد إلا الحياة الدنيا، وهو

حريصٌ على هذه الحياة التي لا أملَ له وراءها، ولا حياةَ له بعدها، ولا حياةَ له سواها؟! (1).

واعلم أخي المسلم أنّ الكبائرَ في ديننا الفرارُ من الزَّحْفِ، ولذلك كان من الوصايا التي أوصى بها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذُ بنُ جبل: "وإِيَّاكَ والفرارَ من الزَّحْفِ، وإنْ هَلَكَ النَّاسُ، وإذا أَصَابَ النَّاسَ موتان، وأنتَ فيهم فاثبت". (2) لأنَّ النَّبَاتَ يزيْدُ المؤمنِ قوَّةً، ويُوَقِّعُ في نفوسِ العدوِّ خوفاً ورهبةً، وتزعزُعُ المواقفَ التي يُخْذَلُ الصَّدِيقَ وَيُشَمَّتِ العدو، وقد كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعمِّقُ هذا المعنى يومَ الأحزاب، وهو ينقلُ الترابَ، وقد وارى الترابُ بطنه، وهو يقول: "لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا، ولا صلينا، فأنزلَ السكينةَ علينا، وثبتَ الأقدامَ إنْ لاقينا، إنَّ الأعداءَ قد بَعَوْا علينا، إذا أرادوا فتنةً أبيضاً". (3).

إنَّه مطلوبٌ من صنَّاعِ القرارِ مهما كان دورُهم أو موقعُهم في هذه الأمةِ أَنْ يَثْبُتُوا بدأً من أعلى سلطةٍ فيها، سواءً كانت

1- في ظلال القرآن ج/1515.

2- رواه أحمد 22128، 238/5.

3- رواه البخاري 2680، 2870/3، 1043، 1103/3 باب حفر الخندق.

باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق.

صلاحيّتها سياسيةً أو اقتصاديةً أو اجتماعيةً أو ثقافيةً، أو دعويةً، عليهم جميعاً أن يثبتوا على المبادئ التي أرساها الدِّينُ، ليقبموا على شرعةِ الله ومنهاجهِ القويمِ أُسسَ حياتهم وتفصيلِ معاملاتهم، وحركتهم، وبناء مواقفهم، ومطلوبٌ منهم الثباتُ على ولاءِ المؤمنين، ومعاداةِ الأعداءِ الذين يَكيدونَ الأُمَّةَ الإسلامَ، أو يُظاهروا عليها أعداءَها، وهذا الأمرُ من أهمِّ عواملِ النَّصرِ والتَّمكِينِ، فلو أحسنَ المسلمونَ حكماً وقادةً، وعاملين، وشعوباً وجماعاتٍ وحركاتٍ إسلاميةً استخدامَ هذا السلاحِ القويِّ لهزموا عدوَّهم شرّاً هزيمةً. والمؤمنون هم أصبرُ النَّاسِ على البلاءِ، وأثبتُّهم في الشَّدائدِ، وأرضاهم نفساً في المُلِمَّاتِ، عرفوا قصرَ عمرِ الدنيا بالنسبةِ لعمرِ الخلودِ، فلم يطمعوا أن تكونَ دُنْيَاهُمْ جَنَّةً قبلَ الجَنَّةِ: **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى** - النساء: 77. **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** - آل عمران: 185. وعرفوا سنَّةَ الله في هذا النَّوعِ من الخليقةِ (الإنسان) الذي ابتليَ بنعمةِ حريةِ الإرادةِ، والاستخلافِ في الأرضِ، فلم يطمعوا أن يكونوا ملائكةً أولي أجنحةٍ **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ** - الإنسان: 2، **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ** - البلد: 4.

وعرفوا من سُننِ أنبيائهم ورسولهم أنَّهم أشدُّ النَّاسِ بلاءً في الحياة الدنيا، وأقلُّ النَّاسِ استمتاعاً بزخرفها، فلم يطمعوا أن يكونوا خيراً منهم، ولهم فيهم أسوةٌ حسنةٌ: **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن في نصر الله قريب** البقرة:214.

قال ابن القيم: يا مخنث العزم... الطريق تعب فيه آدم، ونوح فيه نوح، وألقي في النار إبراهيم، وتعرض للذبح إسماعيل، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى.

ثالثاً: الثبات على منهج الإسلام:

قال تعالى: **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** الجاثية:1، وقال: **فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ** المائدة:48.

وقال الله تعالى: **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً** الأحزاب:23، **إنَّ الرَّجَالَ الصَّادِقِينَ مِبَادُوهُمْ ثَابِتٌ**، وهي عندهم أعلى من أرواحهم وما يملكون، لديهم إصرارٌ لا يلين، لا

يعرفون التنازل. قال الخواص: الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة. (1)

إن صاحب الثبات على دين الله شمعاً مضيئة في الطريق المظلم لا يتغير ولو تغير كل الناس، ولا يتبدل بتبدل الأحوال؛ بل إنه قد جعل كل حياته بذل وتضحية لله تعالى، تراه فتى متحمساً. فشاباً متوقداً نشاطاً. فكهلاً متحفزاً لفعل الصالحات. فشيخاً يسارع في الخيرات، ويسابق في أبواب البر والمعروف. رابعاً : الثبات عند الممات:

لقد أمر الله تعالى بالثبات علي الإسلام إلى الممات، فقال: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ**۔ آل عمران: 102، وهو وصية نبي الله إبراهيم إمام الحنفاء لبنيه، ويعقوب من بعده، كما قال تعالى: **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ**۔ البقرة: 132. فالمؤمنون الصالحون يثبتهم الله تعالى عند الممات، وقال الله فيهم: **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**۔ فصلت: 30. إن أهل

1- عدة الصابرين: ابن القيم 9/1.

الصَّلَاحِ وَالسَّنَةِ يَوْفَقُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِلنَّبَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ،
 فينطقون بالشهادتين. وقد يُرى من هؤلاء من تَهَلَّهَلَّ وجهه، أو
 ظَهَرَتْ مِنْهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، وهذا نَوْعٌ اسْتَبْشَارٌ عِنْدَ خُرُوجِ أَرْوَاحِهِمْ:
**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: (يُنَبِّئُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ**
إِبْرَاهِيمَ: 27. وَأَمَّا أَهْلُ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ فَإِنَّهُمْ يُحْرَمُونَ النَّبَاتَ فِي
 أَشَدِّ الْأَوْقَاتِ كَرِبَةً، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ التَّلَفُّظَ بِالشَّهَادَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ،
 وَهَذَا مِنْ عِلَامَاتِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ: **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي
 عَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ
 تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ
 عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** - الأنعام: 93، قَدْ يُقَالُ لِلرَّجُلِ عِنْدَ مَوْتِهِ: قُلْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَحْرُكُ رَأْسَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، يَرْفُضُ قَوْلَهَا، أَوْ لَعَلَّهُ
 لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ، وَآخِرُ عِنْدَ مَوْتِهِ: يُدْنِدُنُ بِالْحَانِ أَوْ كَلِمَاتٍ
 أُغْنِيَةٍ. لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ شَغَلَتْهُمْ عَنِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا،
 وَاسْتَوْلَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

خامساً: الثَّبَاتُ بِالمَدَاوِمَةِ عَلَى الطَّاعَاتِ:

مِنْ أَهَمِّ صُورِ الثَّبَاتِ: المَدَاوِمَةُ عَلَى الطَّاعَاتِ، فَالمَطْلُوبُ
 فِي بَعْضِهَا المَثَابِرَةُ وَالمَدَاوِمَةُ عَلَيْهَا، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 "مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ السَّنَةِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي

الْجَنَّةِ".⁽¹⁾ وفي روايةٍ تقولُ أمُّ حبيبةَ راويةُ الحديثِ، ويقول كل من عمرو بن أوسٍ والنعمان بن ثابت من رجالِ السندِ - : "ما تَرَكْتَهُنَّ مِنْذُ سَمِعْتَهُنَّ".⁽²⁾ وتقول عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "وكان يقول أحب العمل الله ما داوم عليه صاحبه".⁽³⁾ "وكانت عائشةُ إذا عملت العملَ لزمتهُ".⁽⁴⁾ وحين سئل رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله؟ قال: "أدومُهُ وإن قلَّ، وكان آلُ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا عملوا عملاً أثبتوه".⁽⁵⁾

-
- 1- مسلم 728، 502/1، باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبينان عددهن، رواه الترمذي 414، 273/2 باب ما جاء فيمن صلى في يوم وليلة ثنتا عشرة ركعة من السنة وماله فيه من الفضل، وابن ماجه 361/1140، 1 باب ما جاء في ثنتي عشرة ركعة من السنة.
 - 2- رواه مسلم 502/728، 11، باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبينان عددهن.
 - 3- رواه مسلم 1156، 811/2 باب صيام النبي صلى الله عليه وسلم رمضان واستحباب أن لا يخلي شهرا عن صوم.
 - 4- رواه مسلم 541/782، 1، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره.
 - 5- رواه مسلم 1156، 811/2، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره.

سادساً: الثَّباتُ في الشَّدائدِ والابتلاءاتِ:

إنَّ الحياةَ لا تخلو من الشَّدائدِ، فهي كثيرةٌ النَّكاليفُ، محفوفةٌ بالأخطارِ والمشقَّاتِ. ذلك أنَّ طبيعةَ الحياةِ الدُّنيا، وطبيعةَ البشرِ فيها تجعلانِ من المستحيلِ أن يخلُو المرءُ فيها من كوارثٍ تُصيبه، وشدائدٍ تحلُّ بساحته، فكم من يخفقُ له عملٌ، أو يخيبُ له أملٌ. أو يموتُ له حبيبٌ. أو يمرضُ له بدنٌ، أو يفقدُ منه مالٌ، ثمَّ إنَّ المؤمنَ لا بدَّ أن يُبتلى في دينه وإيمانه من أجلِ اختبارِه وامتحانه، ولن يتوقَّفَ الابتلاءُ عنه، بل دائمٌ هو التَّعرضُ له، إذ الدنيا كلُّها دارُ ابتلاءٍ، قال الله تعالى: **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** البقرة: 155، وقال: **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** محمد: 31، وقال: **لَنَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** آل عمران: 186، وما عليه إلا أن يثبت صابراً محتسباً، مع علمه أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، وقد يكون الابتلاء محبة من الله تعالى: **وَإِذْ كُنَّا عَبْدَنَا آيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي**

الْأَبَابِ وَخَذُ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا
 نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ - سورة ص: 42-44، قال رسول الله صَلَّى
 الله عليه وسلّم: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَنزَلَةً لَمْ يَبْلُغْهَا
 بِعَمَلِهِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَّرَهُ
 عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى يَبْلُغَهُ الْمَنزَلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى". (1)
 ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ عَظْمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظْمِ
 الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا،
 وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ". (2) وفي رواية أحمد: "ثُمَّ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ
 قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ". (3)

قال الشاعر يصف الدنيا:

جبلت على كدر وأنت تريدها صفواً من الآلام والأكدار!
 ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار
 يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَجِباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ،
 إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ

1- أحمد في المسند 22392، 272/5، أبو داود 309، 183/3، أول
 كتاب الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب، ابن ماجه 4030،
 1338/22.

2- الترمذي 2396، 601/4، باب ما جاء في الصبر على البلاء.

3- المسند 23691، 429//5.

سَرَاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبِرٌ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ".⁽¹⁾ وإذا كان هذا سُنَّةَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الْحَيَاةِ عَامَّةً، وَفِي النَّاسِ كَافَّةً، فَإِنَّ أَصْحَابَ الرِّسَالَاتِ خَاصَّةً أَشَدُّ تَعَرُّضًا لِنَكَبَاتِ الدُّنْيَا وَوِيْلَاتِهَا، إِنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيُحَارِبُهُمْ دَعَاةَ الطَّاعُوتِ، وَيُنَادُونَ بِالْحَقِّ فَيُقَاوِمُهُمْ أَنْصَارُ الْبَاطِلِ، وَيَهْدُونَ إِلَى الْخَيْرِ، فَيُعَادِيهِمْ أَنْصَارُ الشَّرِّ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ فَيُخَاصِمُهُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ... وَبِهَذَا يَحْيَوْنَ فِي دَوَامَةِ مِنَ الْمَحْنِ، وَسِلْسَلَةِ مِنَ الْمُؤَامَرَاتِ وَالْفِتَنِ، سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَ آدَمَ وَإِبْلِيسَ، وَإِبْرَاهِيمَ وَالنَّمْرُودَ، وَمُوسَى وَفِرْعَوْنَ، وَمُحَمَّدًا وَأَبَا جَهْلٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ - الأنعام: 112، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا - الفرقان: 31، هَذَا هُوَ شَأْنُ الْأَنْبِيَاءِ، وَشَأْنُ وَرَثَتِهِمْ، وَالسَّائِرِينَ عَلَى دَرَجَتِهِمْ، وَالذَّاعِينَ بِدَعْوَتِهِمْ. مَعَ الطُّغَاةِ الصَّادِقِينَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى: وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ - البروج: 8. يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي هَذَا الْمَجَالِ كَلِمَةً جَامِعَةً بَلِيغَةً:

1- ابن حبان 2896، 155/7، ذكر إثبات الخير للمسلم الصابر ثم الضراء والشاكر ثم السراء.

"إِنَّ أَوَّلَ الْأَمْرِ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، وَوَسْطُهُ صَبْرٌ وَتَوَكُّلٌ، وَآخِرُهُ هِدَايَةٌ وَنَصْرٌ". وَنَجِدُ هَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُنْزَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** - العنكبوت:2.

سابعاً: الثَّبات في أيام الصَّبْرِ:-

وهي التي وصفها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: "الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ".⁽¹⁾ وفي روايةٍ: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِ عَلَى دِينِهِ، كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ".⁽²⁾ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَثْبُتُ قَابِضًا عَلَى الْجَمْرِ؟! لَذَاكَ بَشَرٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَأَنَّ الثَّابِتَ مِنْ هَؤُلَاءِ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: "فَإِنَّ رِءَاكُم أَيَّامَ الصَّبْرِ، صَبْرٌ فِيهِنَّ كَقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ".⁽³⁾ وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ: ثَمَّ إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ: "مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ

1- رواه الترمذي 5، 257/3058.

2- رواه الترمذي 2260، 4/526.

3- أخرجه الحاكم في المستدرک 7912، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان في موارد الظمان 1851 باب لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق منصوره، والبيهقي في السنن الكبرى 91/10.

فلنْ أَدَّخَرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ،
وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٍ وَأَوْسَعُ
مِنَ الصَّبْرِ"، (1) قال تعالى: **وَلِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءَ حَسَنًا إِنَّ
اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** الأنفال:17، قال ابن الهيثم: "البلاءُ يكونُ
حسنًا، ويكونُ سيئًا، وأصلُه المحنةُ، والله عزَّوجلَّ يبلُّو عبده
بالصنع الجميلِ لِيَمْتَحَنَ شُكْرَهُ، وَيَبْلُوهُ بِالْبَلَاءِ الَّتِي يَكْرَهُهَا
لِيَمْتَحَنَ صَبْرَهُ". (2)

أسبابُ عدمِ النَّبَاتِ واليَقِينِ:-

1- النَّشْأَةُ الْأَسْرِيَّةُ:

قد يَنشَأُ المرءُ بَيْنَ أَبْوَيْنَ سَمْتَهُمَا عَدْمُ النَّبَاتِ أَوِ اليَقِينِ،
وَحِينَئِذٍ يَسْرِي ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ، فَإِذَا بِهِ صُورَةٌ مِنْهُمَا، وَهنا يَتَجَلَّى
دَوْرُ التَّزَامِ الْأَبَاءِ بِأَخْلَاقِ وَأَدَابِ الْإِسْلَامِ، وَثَبَاتِهِمْ عَلَى الْقِيَامِ
بِتكاليفه، وَلَوْ رُوِيَ ذَلِكَ لَجَنَّبَ الْأَبَاءُ أَبْنَاءَهُمُ الْانْحِرَافَ وَالزَّيْغَ،
دُونَ الْحَاجَةِ إِلَى خُطْبٍ، أَوْ مَوَاعِظَ.

2- صَحْبَةُ أَقْرَانِ السَّوِّءِ:

وهي الصَّحْبَةُ الْعَارِيَّةُ مِنْ خَلْقِ النَّبَاتِ الْإِسْلَامِيِّ، وَقَدْ
يَعِيشُ المرءُ فِي وَسْطِ غَيْرٍ مُلتَزِمٍ بِهَذَا الْخَلْقِ الْإِسْلَامِيِّ، فَإِذَا بِهِ

1- أخرجه البخاري ومسلم.

2- تفسير القرطبي 1/3387.

يُحَاكِي وَيَتَأَسَّى لاسيما إذا كان ضعيفَ الشخصية، غيرَ واثقٍ من نفسه، ومن تصرفاته وسلوكه، وهنا يأتي دورُ الارتماء بين أحضانِ الصُّحبةِ الطَّيِّبَةِ الملتزمةِ بالمنهاجِ الإسلامي، إنَّ هذا لو وقع لَتَنَبَّهتِ المشاعرُ والأحاسيسُ، والجوارحُ، ولتَبَّتِ المرءُ وما زَلَّتْ قَدْمُهُ عن الحقِّ. عن أبي موسى الأشعري عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ، وَنَافِخِ الْكَيْرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَيْرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً".⁽¹⁾ وعن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: **الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** - الزخرف:67 قال: "خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فتوفي أحدُ المؤمنين وبُشِّرَ بالجنَّةِ فذكرَ خليله، فقال: اللَّهُمَّ إِنَّ فَلَانًا خَلِيلِي كَانَ يَأْمُرُنِي بِطَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ، وَيَأْمُرُنِي بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَانِي عَنِ الشَّرِّ، وَيُبَيِّنُنِي أُنِّي مُلَاقِيكَ، اللَّهُمَّ فَلَا تَضَلَّهُ بَعْدِي حَتَّى تُرِيَهُ مِثْلَ مَا أَرَيْتَنِي، وَتَرْضَى عَنْهُ كَمَا رَضَيْتَ عَنِّي، فَيُقَالُ لَهُ اذْهَبْ، فَلَوْ تَعَلَّمْ مَا لَهُ عِنْدِي لَضَحِكْتَ كَثِيرًا وَبَكَيْتَ قَلِيلًا، قَالَ، ثُمَّ يَمُوتُ الْآخِرُ، فَتَجْتَمِعُ أَرْوَاحُهُمَا، فَيُقَالُ

1- البخاري 1995، 741/2، باب في العطار وبيع المسك، مسلم 4، 2026/2628، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء.

لِيُثْنِ أَحَدُكُمْ عَلَى صَاحِبِهِ، فَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ نِعَمَ
 الْأَخِ وَنِعَمَ الصَّاحِبِ، وَنِعَمَ الْخَلِيلِ، وَإِذَا مَاتَ أَحَدُ الْكَافِرِينَ وَبُشِّرَ
 بِالنَّارِ، ذَكَرَ خَلِيلَهُ، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ خَلِيلِي فَلَانًا كَانَ يَأْمُرُنِي
 بِمَعْصِيَتِكَ وَمَعْصِيَةِ رَسُولِكَ، وَيَأْمُرُنِي بِالشَّرِّ، وَيَنْهَانِي عَنِ
 الْخَيْرِ، وَيُخْبِرُنِي أَنِّي غَيْرُ مَلَاقِيكَ، اللَّهُمَّ فَلَا تَهْدِهِ بَعْدِي حَتَّى
 تُزَيِّهَ مِثْلَ مَا أُرَيْتَنِي، وَتَسْخَطَ عَلَيْهِ كَمَا سَخِطْتَ عَلَيَّ، قَالَ:
 فَيَمُوتُ الْكَافِرُ الْآخِرُ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ أَرْوَاحِهِمَا، فَيَقَالُ لِيُثْنِ أَحَدُكُمْ
 عَلَى صَاحِبِهِ فَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ: بئس الأخ، وبئس
 الصاحب، وبئس الخليل...".⁽¹⁾

3- الغفلة والنسيان:

إِنَّ الْغَفْلَةَ النَّسِيَانَ تَوْدِيَانِ فِي الْغَالِبِ بِالْإِنْسَانِ إِلَى عَدَمِ
 النَّبَاتِ، وَحِينَئِذٍ يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ دَرْسًا لَا يَنْسَاهُ عَلَى مَدَارِ
 الزَّمَانِ، فَلَا يَتَكَرَّرُ مِنْهُ هَذَا الْخَطَأُ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ: "فَمَنْ كَانَتْ
 الْغَفْلَةُ أَغْلَبَ أَوْقَاتِهِ كَانَ الصَّدَأُ مَتْرَاكِبًا عَلَى قَلْبِهِ، وَصَدَاهُ بِحَسَبِ
 غَفْلَتِهِ، وَإِذَا صَدَى الْقَلْبُ لَمْ تَنْطَبِعْ فِيهِ صُورُ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى مَا
 هِيَ عَلَيْهِ، فَيُرَى الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَالْحَقَّ فِي صُورَةِ
 الْبَاطِلِ، لِأَنَّهُ لَمَّا تَرَكَمَ عَلَيْهِ الصَّدَأُ أَظْلَمَ، فَلَمْ تَظْهَرْ فِيهِ صُورَةُ

1- تفسير ابن كثير 4/135.

الحقائق كما هي عليه، فإذا تراكم عليه الصدأ وأسودَّ وركبه الرأى فسَدَ تصوُّره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا يُنكر باطلاً⁽¹⁾.

قال الله تعالى في الغفلة: **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** - الأنبياء: 97، وقال تعالى: **وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** - مريم: 39، وقال تعالى في النسيان: **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ الْكُفْرَ** - الكهف: 57، وقال الله تعالى: **قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْسَى** - طه: 126، وقال تعالى: **وَقِيلَ الْيَوْمِ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا** - الجاثية: 34، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "بنسيانه لربه تعالى ولما أنزله، قال تعالى: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**، وقال تعالى في حق المنافقين: (نسوا الله فنسيهم). وقوله تعالى: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ** يقتضي أن نسيان الله كان سبباً لنسيانهم أنفسهم، وأنهم لما نسوا الله عاقبهم بأن أنسأهم أنفسهم".⁽²⁾ وصدق صلى الله عليه وسلم فقال: "كُلُّ ابْنِ

1- الوابل الصيب 60/1.

2- مجموع الفتاوى : 348/16.

آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّاءِ الَّذِينَ التَّوَابُوا".⁽¹⁾ وعلاج الغفلة والنسيان دوام التذكير، وذكر الله عزَّوجلَّ، قال الله تعالى: **إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا** الكهف:24، وقال الله تعالى: **وَدَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** - سورة الذاريات:55، وقال الله تعالى: **فَدَكَّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى** - سورة الأعلى:9، وتقدير العواقب المترتبة على عدم الثبات في الدنيا والآخرة: فإنَّ هذا التقدير من شأنه أن يبعث الإنسان من داخله، ويحمِّله على الثبات والصمود، وعدم التراجع.

4- الإعجابُ بالنفس:

إنَّ من أسباب اضطراب القلب وعدم ثباته: هو الإعجابُ بالنفس والاتكال على العمل، والعجبُ بالنفس أمرُهُ خطيرٌ، قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لو لم تكونوا تذنبون لخشيتُ عليكم ما هو أكبرُ منه العُجبُ".⁽²⁾

1- رواه الترمذي 2499، 659/4 وابن ماجه، 2، 1420/4251، الحاكم 7617، 272/4.

2- مجمع الزوائد، 369/10، باب ما جاء في العجب عن أنس، رواه البزار وإسناده جيد.

وكم من مُعَجَبٍ بِنَفْسِهِ لم يَجْتَهِدْ في تَرْكِيتِهَا، وَأَهْمَلَ تَرْبِيَتَهَا
 وَمَحَاسِبَتَهَا، ولم يَتَرَوِّدْ لوعورة الطريق وآلامها، فَأَنهَارَ وَضَعَفَ
 مع أَوَّلِ مَحَنَةٍ أو شِدَّةٍ لاقتهُ، والذي يَطْرُدُ خَاطِرَ العُجْبِ هو:
 مَجَاهِدَةُ النَّفْسِ، وإِلْزَامُهَا التَّوَاضِعَ، وإِلْجَامُهَا عن الغرور
 والعُجْبِ، واستخراجُ حَظِّ الشَّيْطَانِ منها، قال الله تعالى: **وَالَّذِينَ
 جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** -
 العنكبوت:69، وقال الله تعالى: **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ
 اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا
 الْمُؤْمِنِينَ وَلِجِبَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** - التوبة:16، وأن يعلم أن
 الأعمال بالخواتيم، وليس بواقع الحال ذلك؛ فإذا كان كذلك لم
 يغتر بظاهر صلاح حاله، وظلَّ مستيقظاً حذراً، قال الله تعالى:
**يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ
 وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ** -
 الحديد:14.

وعن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بطنِ
 أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً
 مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْسَلُ اللهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ فَيَنْفِخُ فِيهِ، وَيَوْمَرُ بِأَرْبَعِ،
 يُكْتَبُ رِزْقُهُ وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فوالذي لا إلهَ غيرُه إِنَّ

أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيُخْتَمُّ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيُخْتَمُّ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا".⁽¹⁾ وعن أنسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: "لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّىٰ تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُّ لَهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عَمْرِهِ أَوْ بَرَهَةً مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيَعْمَلَ الْبَرَهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ"، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ؟ قَالَ: "يُؤَوِّفُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ".⁽²⁾ يقول ابن القيم: " لَمَا كَانَ الْعَمَلُ بِأَخْرِهِ وَخَاتَمَتَهُ لَمْ يَصْبِرْ هَذَا الْعَامِلُ عَلَىٰ عَمَلِهِ حَتَّىٰ يَتِمَّ لَهُ، بَلْ

1- رواه الترمذي 2137، 4/446، باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم،

قال أبو عيسى وهذا حديث حسن صحيح.

2- مجمع الزوائد 211/7، باب الأعمال بالخواتيم، رواه الإمام أحمد في

المسند 12235، 3/120. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط

الشيخين.

كَانَ فِيهِ أَفَةٌ كَامِنَةٌ وَنَكَتَةٌ خُذِلَ بِهَا فِي آخِرِ عَمْرِهِ، فَخَانَتْهُ تِلْكَ
الْأَفَةُ وَالِدَاهِيَّةِ وَالْبَاطِنَةِ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ، فَرَجَعَ إِلَى مُوجِبِهَا
وَعَمَلَتْ عَمَلَهَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَشٌّ وَأَفَةٌ لَمْ يَقْلُبْ اللَّهُ إِيْمَانَهُ،
لَقَدْ أوردَهُ مَعَ صَدَقِهِ فِيهِ وَإِخْلَاصِهِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مِنْهُ يَقْتَضِي
إِفْسَادَهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنْ سَائِرِ الْعِبَادِ مَا لَا يُعْلَمُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ
بعض". (1)

5- الحماسُ أو العاطفةُ الإسلاميَّةُ الجيَّاشةُ المتأججةُ:

ذلك أنَّ الحماسَ أو العاطفةَ ما لم تكنْ موزونةً بميزانِ
الشَّرْعِ، ومحكومةً بلجامِ العقلِ، فإنَّها تسلبُ صاحبها الإدراكَ
التامَّ والوعيَ والبصيرةَ، وقد يستعجل بلوغَ الغايةِ أو الهدفِ، فإذا
به يُخطئ كثيراً، ثمَّ ما يلبثُ أن يتراجعَ ولا يثبتَ، فيسقطُ قبل
الوصولِ. فالحماسُ يجبُ أن يكونَ منضبطاً بالوعيِ المبصرِ،
والبصيرةِ الواعيَّةِ، قال الله تعالى: **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**
عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ -
يوسف: 108.

1- الفوائد: ابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية،

6- اليأس:

إِنَّ الْيَأْسَ مِنْ مَعَوَّاتِ النَّبَاتِ فِي النَّفْسِ. فقد ييأس بعض النَّاسِ من هداية قلبه فيكون هذا سبباً للزئغ والانحراف. وقد ييأس من هداية النَّاسِ فَيُفْضِي ذلكَ إلى تركِ العملِ الصالحِ، والجهادِ، والدعوةِ إلى الله تعالى، وهذه هاويةٌ أخرى، ولا ثمرةَ من اليأسِ إلاَّ الهمُّ والغمُّ وقلَّةُ العملِ. قال الله تعالى: **وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ** - يوسف:87، **أَفَلَمْ يَيَاسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** الرعد:31، قال البراء بن عازب: إِنَّ الرَّجُلَ يَصِيبُ الذَّنْبَ فَيَلْقَى بِيَدِيهِ، ويقول قد بالغتُ في المعاصي ولا فائدةَ في التَّوْبَةِ فَيَيَاسُ من الله فينهمكُ بعدَ ذلكَ في المعاصي، فالهلاكُ: اليأسُ من الله".⁽¹⁾ وقال جعفر بن محمد: ولا تَيَاسُ فَإِنَّ الْيَأْسَ كَفْرٌ، لعلَّ الله يغني عن قليلٍ، ولا تظنَّ بربِّك ظنَّ سوءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ.⁽²⁾

1- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي 2/362.

2- البيهقي في شعب الإيمان 207/7.

وقال الشاعر:-

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب

وأوطأت المكاره واطمأنت وأرست في أماكنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضرّ وجهاً ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب

وكلّ الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب

وقال شاعر آخر:

ولربّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى ذرعاً وعندَ الله منها المخرجُ

كَمَلْتُ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تَفْرَجُ

والبديلُ عن اليأسِ هو: الأملُ في الله تعالى، والصبرُ، فهما
خُفَّانِ حميدانِ يحملانِ المرءَ على مواصلةِ السَّيرِ نحوَ تحقيقِ

المقاصد، ومن قلَّ صبره لم يصل إلى مراده، وما من طريقٍ إلاَّ وسالَّه يحتاجُ إلى الصَّبْرِ. والإمامةُ في الدِّين ثمرَةٌ من ثمرات استقرار القلب وثباته، ولا يُنالُ ذلك إلاَّ بالصَّبْرِ، قال تعالى: **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** - السجدة:24. وقال تعالى: **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ وَالضَّرَاءُ وَرُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** - سورة البقرة:214.

7- الجهل بأساليب أو طرق الثَّبات، أو الابتعاد عنها:

قد يجهل المرء وسائل أو طرق الثَّبات، أو يبتعد عنها، فيؤدي ذلك إلى عدم الثَّبات، وسرعة الانحراف عن الحقِّ، والسقوط في طريق الغواية.

8- ضعف الرؤية الإيمانية لمفهوم الصراع بين الحقِّ والباطل:

إنَّ هذا الضعف يظهرُ حينما يستعلي الباطلُ، وتكون له الغلبة الظاهريَّة، أو بسبب غيابِ الرؤيةِ المستقبلية، وضعف الإيمان بالوعد الإلهي بالنَّصرِ والغلبةِ لأصحابِ الحقِّ، وبأنَّ الحربَ سجالٌ، يقول تعالى: **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ** - الأنفال:59، يقول تعالى: **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ**

الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ - آل عمران:140. إنَّ غلبة الباطل في جولة معينة لا يعني أن هذه الغلبة مطلقة ودائمة، أو بأنَّ الحقَّ لن يستطيع مقاومته، وعليه بالتالي أن يخضع ويستسلم، كلاً بل على أصحابِ الحقِّ أن يستعيدوا ثقتهم أولاً في ربه عزَّوجلَّ، ثمَّ في أنفسهم، ثمَّ يستعدوا للجولة القادمة، وهذا ما يُلْمَحُ إليه قوله تعالى بعد ذلك: **وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ - الأنفال:60.**

9- الهروب من القروح:

إنَّ من أسبابِ عدم الثَّبات: الهروبُ من القروح، ومن الطرقِ الشائكةِ وآلامِها، والنجاةِ من الابتلاءات من أجل تحقيق النصر، قال الله تعالى: **إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ - آل عمران:14، قال الله تعالى: **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ****

مَسْتَهُمُ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَرَزُلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ. البقرة: 214.

وهذا الأمر يدعو أو يدفع البعض إلى البحث عن الوسائل
السهلة والنَّاعمة، حَتَّى وَإِنْ أَدَّى بِهَا إِلَى الْوُقُوعِ فِي أَحْضَانِ قَوَى
الطَّاغُوتِ وَمَسَايِرَتِهَا وَفَقِ الشَّرُوطِ الَّتِي تَفْرُضُهَا وَتَقْتَرِحُهَا.
وهؤلاء يريدون منه عدم النَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ، بل يريدون منهم
الميلَ والسَّقُوطَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ
وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا** النساء: 27.

10- التَّشَوُّقُ إِلَى تَحْقِيقِ النَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ مُمْكِنَةٍ:

من أسباب عدم النَّبَاتِ التَّشَوُّقُ إِلَى تَحْقِيقِ النَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ
بِأَيِّ وَسِيلَةٍ مُمْكِنَةٍ، وَفِي أَسْرَعِ الْأَجَالِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ نَشْوَةَ النَّصْرِ
تَقْفِدُ الْإِنْسَانَ الْكَثِيرَ مِنَ الْإِتْرَانِ، وَتَغَيِّبُ عَنْهُ الْمَقَابِيسَ الْإِيمَانِيَّةَ
الَّتِي يَزُنُّ بِهَا الْأُمُورَ، فَتَخْتَلِطُ عَلَيْهِ الْأُمُورُ لِتَصْبِحَ الْأَهْدَافُ
وَسَائِلَ، وَتَصْبِحُ الْوَسَائِلُ أَهْدَافًا، أَوْ بِعِبَارَةِ الْعَصْرِ يُصْبِحُ
الاستراتيجي والمرحلي شيئاً واحداً.

11- إِيْجَادُ بَعْضِ الْخُصُومِ:

من أسباب عدم النَّبَاتِ إِيْجَادُ بَعْضِ الْخُصُومِ الْمَصْطَنَعِينَ
الْمَعُوقِينَ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ عِرْقَلَةِ الْمَسِيرَةِ الصَّحِيحَةِ، وَتَحْرِيفِهَا
عَنْ اتِّجَاهِهَا الْأَصِيلِ، فَتَصْبِحُ الْمَعْرَكَةُ الْكَبْرَى مَعَ هَذِهِ الْفَنَائِ

المصطنعة، وتُسمى المعركة المصيريَّة والجوهريَّة مع قوى الطاغوت، التي تتحوَّل في هذه الحالة إلى حكم يُحتكم إليه، ويعترف له الجميع بالشرعيَّة. في الوقت الذي كان من المفروض على الجميع أن يكونَ واعياً، وملتصلاً بمجموعة الرؤى والتصورات الإيمانية الصحيحة، التي هي ضروريَّة من أجل الثَّبات والحِفاظِ على المبادئ.

12- الجهل بالسنن الربانية:-

من بين الأسباب التي تجعلُ البعضَ يَضعفُ فيخضعُ ويتنازلُ عمَّا يؤمنُ بهِ ويعتقدهُ، أو ينقادُ للواقع الجاهلي القائم، ولا يثبت: الجهل بالسنن الربانيَّة، فإنَّ الله سبحانه وتعالى خلقَ الكونَ وما فيه لحكمةٍ وغايةٍ، لأنَّه الحكيمُ الخبيرُ، وأجزأه على سننٍ وقوانينٍ، منها الثابتُ ومنها المتغيِّرُ، وهو كلُّه خاضعٌ لحكمه ومشيئته النافذة، والذي يهْمُ ملاحظتهُ من السنن: السننُ الشرعيَّة المتعلِّقة بالأمر والنهي الرباني، والسنن الاجتماعيَّة المتعلِّقة بنشوء الدول وقيام الحضارات وسقوطها، واتجاهات المجتمعات السلوكية والاقتصاديَّة والفكريَّة... وسوف نعرض لثلاث سنن مهمة في هذا الجانب:-

أ- سنة الابتلاء: وهي سنةٌ جاريةٌ وملحوظةٌ في أحداث السيرة النبوية، فقد أودى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابتلي

أصحابه ووقع عليهم بلاء عظيم خاصة في المراحل الأولى من الدعوة، فصابروا وصابروا، حتى أنجاهم الله ونصرهم، يقول الله تعالى: **أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** العنكبوت: 2-3، وقال تعالى: **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ النَّبِئَاتِ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** البقرة: 214. فالابتلاء سنة ربانية كما تُفَرِّدُ الآيات الكريمة، وبيتلى الصالحون، بل الأنبياء عليهم السلام، "فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياء، ثمَّ الأُمَمُ فالأُمَمُ، فبيتلى الرجلُ على حسبِ دينه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة".⁽¹⁾

وهكذا جرت سنة الله في ابتلاء المؤمنين لتمحيصهم ورفع درجاتهم، وتمييز الصادق من غيره، ويكون هذا الابتلاء تربية على الثبات في المحن والمواقف الصعبة، بل وحتَّى في السراء

1- رواه ابن حبان، 7/2901، 161، باب ذكر الأخبار بأن المرء عندما امتحن بالمصائب عليه زجر النفس عن الخروج إلى ما لا يرضي الله جل وعلا دون دمع العين وحزن القلب.

وإفاضة الخيرات والنصر تكون ابتلاء وفتنة، ليمتيز الصادق والملتزم بدينه ممن تبطره نشوة النصر، وتُسييه نعمة السراء فضل الله عليه، فيتجاوز أمر الله وينسائه، قال تعالى: **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا نُرْجِعُونَ** - الأنبياء:35، وقال تعالى: **وَقَطَعْنَا لَهُم فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** - الأعراف:168، وقال تعالى: **هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا** - الأحزاب:11، وقد نجح المؤمنون الأوائل في أنواع الابتلاءات، وقاموا بما أوجبه الله تعالى عليهم من الصبر على البلاء، والمدافعة للأعداء، وبذل الأسباب المشروعة في رفع البلاء، وعدم الاستكانة والرضى بالواقع حتى يسر الله عزوجل لهم الخروج من المحنة، كما كانت فتنة السراء والنصر بعد الهجرة إلى المدينة، وظهور الدين ميدانًا آخر، فنجحوا في الجميع والله الحمد، فتحقق لهم بذلك التمكين في الأرض ونشر الدين حتى أظهره الله على الدين كله، وكان هذا بعون من الله ثم بجهد منهم وعمل، وأخذ بالأسباب المعنوية والمادية المؤدية إلى ذلك، فما أحوج المسلمين اليوم وهم يجابهون أعداءهم إلى فقه هذه السنة الربانية حتى يجتازوا الفتنة والابتلاء بنجاح، ويحققوا النصر على عدوهم في الواقع، لكن

لن يحصل ذلك حتى تنتصر المبادئ، وتستجيب النفوس لداعي الحق، وتحصل عندهم الرغبة والإرادة للنصر، والتمكين للدين الذي قَدَّرَ الله أنه سيظهر على الدين كله لو كره المشركون، لكن لا بدَّ من جهدٍ وعملٍ، وأخذٍ بالأسباب وإرادة قوية حتَّى تتحقَّق السنَّةُ الرَبَّانِيَّةُ والوعدُ الإلهي. (1)

ب- سنة المدافعة للباطل وأهله:

إنَّ الصراعَ بين الحقِّ والباطل سنةً ربَّانيةً جاريةً كما قال تعالى: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْحِجْنَ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** - الأنعام: 112، فالأنبياء عليهم السلام وهم أكرم الخلق وأعدل الخلق وُجِدَ لهم أعداءٌ وخصومٌ، يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحقَّ. وقد أمرَ الله عزَّوجلَّ المؤمنين بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقتال المشركين حتى يكونَ الدينُ كُلُّهُ لله، وتضعفُ شوكةُ الباطل وتتكرس، وحتى تكونَ كلمةُ الله هي العليا وكلمةُ الذين كفروا السفلى، قال تعالى: **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ**

1- مسائل في منهج دراسة في السيرة النبوية: د. محمد بن صامد السلمي، دار ابن الجوزي ص 27-28.

ضَعِيفًا النساء:76، ففي هذه الآية وآية سورة الفرقان التي ذكرناها قبل إشارة إلى ضعف الباطل وأهله إذا قام أهل الحق بواجبهم في مدافعتهم وقتالهم، لأن الله مع الذين اتقوا فقولهم في الآية الأولى: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا** الفرقان:31، وفي الآية الثانية: **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** إشارة إلى ضعف كيد الشيطان الذي يتولاه الكفار والمشركون، فإذا كان وليهم ضعيفاً فهم أضعف وأذل، وهذا يُعطي المؤمن قوةً على العمل بما أوجبه الله تعالى عليه من مدافعة الباطل وأهله، كما يُعطيه ثقةً في نصر الله تعالى له، ومن ثمَّ يعتزُّ بدينه ويتمسكُ به.

وهذا هو الذي قام به الصحابة رضي الله عنهم في العهد المكي، فقد وقع عليهم الاضطهاد الشديد من المشركين في مكة، ولم يكن بمقدورهم المواجهة العسكرية ولم يؤمروا بالجهاد بعد، وإنما أمروا بالصبر والتحمل، فصبروا رضي الله عنهم وتحملوا تلك المرحلة، ولكن مع الصبر والتحمل كانوا يسعون لإزالة هذا الواقع وعدم استمراره، فجاءت الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثمَّ ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، ثمَّ العرض على القبائل في المواسم، كلُّ كي يبحث عن مخرج من ذلك الواقع، حتى قيض الله طائفةً من الأوس والخزرج لقبول دعوة

الحق، ثمّ المبايعة على النصرّة ليلة العقبة، وأعقب ذلك الهجرة إلى المدينة، فخرج المسلمون من الاضطهاد، ونصرهم الله تعالى بإخوانهم في المدينة عندما قاموا بالأسباب الموجبة لذلك. والملاحظ أنّ الصحابة رضي الله عنهم تحمّلوا مرحلة الاضطهاد وواجهوها بالصبر، ولكن مع عدم الاستكانة والرضى بالواقع، فأخذوا يعملون لإزالة ذلك الواقع حتى تمكنوا من رفعه وإزالته، وهو درس بالغ ينبغي أن يفهمه المسلمون اليوم فهم بحاجة إلى الصبر لمواجهة الواقع الذي يعيشونه، غير أنه لا ينبغي أن يتحول صبرهم إلى استكانة ورضى بالواقع واستسلام له فإن هذا خلاف سنة الله في المدافعة بين الحق والباطل.

ج- **سنة التمكين:** وهذه السنة بحاجة إلى فقه المسلمين لها، والعمل على نشر هذا الفقه بينهم، لأنّه وسيلتهم في الانتصار على العدو إذا أخذوا بأسباب التمكين والثبات على المنهج الرباني، فالتمكين في الأرض هبة من الله تعالى وفق مشيئته لمن سلك الأسباب الشرعية المؤدية إليه، قال تعالى: **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** - آل عمران: 26، فالتمكين بيد الله سبحانه وتعالى وتحت مشيئته، وقد قضى بعدله ورحمته أن التمكين الدائم هو لأهل

طاعته، لكن لا يحصل إلا بتحقيق شروطه والقيام بواجبات وانتفاء موانع، قال تعالى: **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** - النور: 55، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات، هم الذين صححوا معتقدهم وأقاموه على وفق ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وطريقة السلف الصالح وفهمهم، ثم قاموا بعمل الواجبات الشرعية والالتزام بها، وابتعدوا عن الشرك وتوابعه، هؤلاء قد وعدوا من الله تعالى وعداً لا يخلف، بأنه يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم من أتباع الرسل عليهم السلام، ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الإسلام. وتمكين الدين يكون: بتمكينه في القلوب وبنشره وتعليمه، وبتمكينه من تصريف أمور الحياة والهيمنة عليها، وذلك بمراعاة أحكامه وتنفيذها في الواقع، فإذا فعلوا ذلك فقد اكتسبوا شروط التمكين، وحصل لهم الأمن والاستخلاف، وانقضى عنهم الخوف. ثم كرر الله سبحانه الشرط الأساسي في الاستخلاف وأكد عليه بقوله تعالى: **يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**، ثم قال سبحانه وتعالى في الآية التي بعدها: **وأقيموا**

الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون، هذه هي
عُدَّة النصر ومتطلبات التمكين، كما قال جلَّ شأنه: **الَّذِينَ إِنْ
مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ
وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** الحج: 41 فهذا هو واجبُ
من مكَّنه اللهُ تعالى وأعطاه سلطةً وقدرةً أن يقوم بتنفيذ شرع الله
وحراسته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يستمر
تمكينُ الله تعالى له، فإنَّ الأمور كُلَّها بيدِ الله تعالى، يعطيها
سبحانه وتعالى من يستحقُّها ممَّن قام بعبادته تعالى وحده، ونفَّذَ
شرعه في واقع حياته، فالتَّمكينُ ليس من أجلِ الحكم والملكِ
والغلبةِ وقهر الآخرين والاستئثار بالدين، إِنَّمَا هُوَ من أجلِ
استخدامه في الإصلاح والبناء، وتحقيق المنهج الذي ارتضاه
الله تعالى لعباده، ودفع الظلم والفساد وتحقيق العدل بين العباد.
وقد يحصلُ التَّمكينُ المؤقت لمن يمتلك أسبابه المادية، لكنَّه
لن يكونَ تمكينًا تامًا، ولن يكونَ مستمرًا، بل تتنابه الشرور
والمنغصات، ولن يكونَ فيه الأمنُ الحقيقي ولا البركةُ في
الأرزاق والأولاد، قال تعالى: **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** طه: 124

وهذه السنن الثلاث: الابتلاء، المدافعة للباطل، التمكين:
بينها ترابطٌ فإنَّ أهلَ الإيمان الحقَّ يبتلون في أنفسهم وأهلهم،

ويعاديهم أهل الباطل من الكفرة والمنافقين والظالمين، فإذا ثبتوا على الحق ودافعوا أهل الباطل، وبدلوا وسعهم في كشفهم، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كتب الله تعالى لهم التَّمَكِينُ والنَّصْرَ، وأبدلهم بعدَ خوفِهِم أَمْنًا، ومن بعدِ شِدَّتِهِم رِخَاءً، وهذه السَّرَاءُ من الابتلاء الذي يختبرون به، فلا بدَّ من مراعاةِ حقِ الله تعالى، وحقِّ عباده، والقيام بذلك في كلِّ حالٍ، في السراء وفي الضراء، حتَّى يدومَ لهم التَّمَكِينُ والنَّصْرُ في الدنيا، ويستحقُّونَ الجزاءَ الأخرى في جنَّاتِ النَّعِيمِ، وإنَّ هم أعرضوا وأخلُّوا بشروطِ التَّمَكِينِ فإنَّ سنةَ الله الأخرى تنتظرهم وتحيقُ بهم، وهي سنَّةُ الاستبدالِ، عندما تفقدُ الأُمَّةُ صلاحيةَ الاستمرارِ، قال تعالى: **وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** - محمد 38، والمتأملُ في وقائع السيرة النبوية وسير الدعوة يرى التعامل مع هذه السنن والوعي بها واضحاً حتَّى كتبَ الله تعالى لهم النَّصْرَ والتَّمَكِينَ.

الوسائل المعينة على الثَّبات:

لقد كثرت حوادثُ السُّقُوطِ، أو الرِّدَّةِ والنكوصِ على الأعقابِ، وكثرت الانتكاساتُ، حتَّى بينَ بعضِ العاملين للإسلام، ممَّا يَحْمَلُ المسلمَ على الخوفِ من أمثال تلك المصائر، ويتلمسُ وسائلَ الثَّباتِ للوصول إلى برِّ الأمان، وشاطئِ النَّجاةِ. إنَّ

حاجة المسلم اليوم لوسائلِ الثَّباتِ أعظمُ من حاجةِ أخيه المسلمِ أيامِ السَّلَفِ، والجهدُ المطلوبُ لتحقيقه أكبرُ؛ لفسادِ الزَّمانِ، ونُدرةِ الإخوانِ النَّاصِحِينَ، وضعفِ المُعينِ، وقلةِ الناصرِ، وقوةِ إمكاناتِ المكرِ ووسائلِ القهرِ، ومن رحمةِ الله عزَّوجلَّ بنا أن بيَّنَ لنا في كتابه الكريمِ وعلى لسانِ نبيِّه وفي سيرته ووسائلِ كثيرةٍ للثَّباتِ. نعرضُ بعضاً منها:

أولاً: الإقبالُ على القرآنِ الكريمِ تلاوةً وتدبراً وعملاً:

إنَّه لا نِجاةَ لِلأُمَّةِ مِنَ الفتنِ والشَّدائدِ التي حَلَّتْ بِها إِلَّا بِالإقبالِ على القرآنِ، ولابدَّ من الثَّباتِ على الدِّينِ بالاعتصامِ بالكتابِ، لأنَّ من تمسَّكَ به أنجاهُ اللهُ تعالى، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراطٍ مستقيمٍ. والقرآنُ العظيمُ وسيلةٌ لتحقيقِ الثَّباتِ الأوَّليِّ، قال اللهُ تعالى: **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** الإسراء:9، وهو شفاءٌ لعللِ السقوطِ والشفاءِ قال اللهُ تعالى: **وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** الإسراء:82، وقال اللهُ تعالى: **مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** طه:2، والقرآنُ الكريمُ مثبتٌ للقلوبِ، وقال اللهُ تعالى: **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** الفرقان:32، **لَوْ أَنزَلْنَاهُ**

الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ - الحشر: 21، وهو جبلُ
الله المتين، والنَّوْرُ المبين، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ عَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ
الزَّلَلِ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ أَنْجَاهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ السُّقُوطِ، وَثَبَّتَهُ عَلَى
الْحَقِّ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَى:
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ
عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ - آل عمران: 103، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: "مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، هُوَ حَبْلُ اللهِ
الْمَتِينِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ".⁽¹⁾ وَنَصَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَنَّ
الْغَايَةَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أَنْزَلَ هَذَا الْكِتَابَ مَنْجِماً مَفْصِلاً هِيَ
النَّثْبِيَّةُ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى فِي مَعْرِضِ الرَّدِّ عَلَى شِبْهِ الْكُفَّارِ:
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ
بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ
نَفْسِيرًا - الفرقان: 32-33.

1- رواه الترمذي 2906، 172/5، باب ما جاء في فضل القرآن.

لماذا كان القرآن مصدراً للتثبيت؟؟

1- لأنه يغرسُ الإيمانَ وينميه، ويزكي النفسَ، ويقوي الصلّة بالله تعالى، **وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** - التوبة: 124.

2- لأنَّ آياتِ القرآنِ الكريمِ تَنْتَزِلُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، فلا تعصفُ به رياحُ الفتنةِ، ويطمئنُ قلبُه بذكرِ الله تعالى، قال الله عزَّوجلَّ: **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** - الرعد: 28.

3- لأنه يُزَوِّدُ المسلمَ بالنُّصُورَاتِ وَالْقِيَمِ الصَّحِيحَةِ التي يستطيعُ من خلالها أن يُفَوِّمَ الأَوْضَاعَ من حوله، ويمدُّه بالموازين الدقيقة، التي تهيئُ له الحكمَ على الأمورِ فلا يضطربُ حكمُه، ولا تتناقضُ أقوالُه باختلافِ الأحداثِ والأشخاصِ، قال تعالى: **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** - الفرقان: 33.

ثانياً: التزامُ شرعِ الله، والعملُ الصالح:

قال الله تعالى: **يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** إبراهيم: 27، قال قتادة - وكذا روي عن غيرِ واحدٍ من السلفِ -: "أمَّا الحياةُ الدنيا فيثبتُهم بالخيرِ، والعملِ الصالحِ،

وفي الآخرة في القبر".⁽¹⁾ وقال الله سبحانه: **ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً النساء:66**، وقال: **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ - البلد:17**، وقال تعالى: **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ - العصر:2-3**، **فعملُ الصَّالِحَاتِ والطاعاتِ، والتواصي بذلك تُزكي النَّفْسَ، وتُهَدِّبُ القلبَ، وهي كَفَّارَةٌ للذنوبِ، ومبعدةٌ للمسلم عن مواقعِ الزَّلَلِ والزَّيغِ، قال الله تعالى: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ - البقرة:45**، وقال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ - البقرة:153**، وقال تعالى: **إِنَّمَا أُوجِبَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ - العنكبوت:45**.

ثالثاً: تدبر قصص الأنبياء والصالحين، ودراستها للناسي والعمل:

قال تعالى: **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ -**

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير 421/3.

هود:120. فما نزلت تلك الآياتِ على عهدِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وللنَّهْيِ وَالتَّقْهِ، وإِنَّمَا لغرضٍ عظيمٍ، هو تثبيتُ فؤادِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأفئدةِ المؤمنين معه. ففي قِصَصِ الأنبياءِ والصحابَةِ والصالحينِ وعلماءِ الأمةِ الأتقياءِ ما يزيِدُ المرءُ ثباتًا واستقرارًا.

- فلو تَأَمَّلْتَ أخي المسلم: قولَ الله عزَّوجلَّ في سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي واجهَ طغيانَ الطغاة: **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** - الأنبياء:68-70، أَلَا تشعُرُ أخي بمعنى من معاني الثَّباتِ أَمَامَ الطُّغيانِ، والعذابِ يدخلُ نفسَكَ وأنتَ تتأملُ هذه القِصَّةَ؟.

- لو تَدَبَّرْتَ أخي المسلم: قولَ الله عزَّوجلَّ في قصةِ موسى عليه السلام: **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** - الشعراء:61-62، أَلَا تحسُّ بمعنى آخر من معاني الثَّباتِ عندَ مُطاردةٍ ومُلاحقةٍ الظَّالمينِ، أي الثَّباتُ في لحظاتِ الشَّدَّةِ وسطِ صَرَخاتِ اليائسينِ، وأنتَ تَدَبَّرُ هذه القِصَّةَ؟.

- لو استعرضتَ أخي وسائلَ الثَّباتِ في قصةِ سحرةِ فرعون، ذلك المثلُّ العجيبُ للقلَّةِ التي ثَبَّتَتْ على الحقِّ بعدما تَبَيَّنَ لها،

أَلَا تَرَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ عَظِيمًا مِنْ مَعَانِي الثَّبَاتِ يَسْتَقِرُّ فِي النَّفْسِ
 أَمَامَ تَهْدِيدَاتِ الظَّالِمِ، وَهُوَ يَقُولُ كَمَا حَكَاهُ اللَّهُ تَعَالَى: **قَالَ آمَنْتُمْ
 لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَىٰ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ
 أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ
 آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ** طه:71. إِنَّهُ ثَبَاتُ الْفَلَّةِ الْمُؤْمِنَةِ الَّذِي لَا
 يَشْوِيهِ أَدْنَىٰ تَرَاجِعٍ، وَهُمْ يَقُولُونَ: **قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا
 مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** طه:72.

- وَهَكَذَا قِصَّةُ الْمُؤْمِنِ فِي سُورَةِ يَسٍ، وَقِصَّةِ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ،
 وَأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ، وَغَيْرِهَا، يَكَادُ الثَّبَاتُ يَكُونُ مِنْ أَعْظَمِ
 دُرُوسِهَا جَمِيعًا.

- وَهَذَا عَرُوءُ بِنِ الزَّبِيرِ أَحَدِ فَفَهَاءِ التَّابِعِينَ فِي الْإِسْلَامِ، مِثْلُ
 صَالِحٍ لِلْمُؤْمِنِ الصَّابِرِ الرَّاضِي، الْمَقْدَّرُ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ رَوَوْا
 أَنَّ رَجُلَهُ وَقَعَتْ فِيهَا الْأَكْلَةُ، فَقَرَّرَ الْأَطْبَاءُ قَطْعَهَا، حَتَّى لَا
 تَسْرِي إِلَى سَاقِهِ كُلِّهَا، ثُمَّ إِلَى فِخْذِهِ، وَرَبَّمَا تَرَقَّتْ إِلَى الْجَسَدِ
 فَأَكَلَتْهُ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِنَشْرِهَا. فَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَشْرِبَ شَيْئًا
 يَغَيِّبُ عَقْلَهُ، حَتَّى لَا يَحْسَّ بِالْأَلَمِ وَيَتِمَكَّنُوا مِنْ قَطْعِهَا، فَقَالَ: مَا
 ظَنَنْتُ أَنْ أَحَدًا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَشْرِبُ شَيْئًا يَغَيِّبُ عَقْلَهُ، حَتَّى لَا
 يَعْرِفَ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَلَكِنْ هَلُمُّوا فَاقْطَعُوهَا، فَفَطَعُوهَا مِنْ رَكْبَتِهِ،

وهو صامتٌ لا يتكلَّم، ولا يُعرف أنَّه (اشتكى)!! وشاءَ القدرُ أنْ
يبتلىَ الرجلُ على قدرِ إيمانه، ففي هذه الليلة التي قُطعت فيها
رجلُه سقطَ ابنٌ له - كان أحبَّ أولاده إليه- من سطحِ فمات،
فدخلوا عليه فعزُّوه فيه، فقال: اللهم لك الحمد، كانوا سبعةً
فأخذت واحداً وأبقيت ستةً، وكان لي أطرافٌ أربعةٌ فأخذت
واحداً، وأبقيت ثلاثةً، فإن كنت أخذت فلقد أعطيت، ولئن كنت
قد ابتليت لقد عاقبت!!

رابعاً: الدعاء:

إنَّ من صفاتِ عبادِ الله المؤمنين أنَّهم يتوجَّهون إلى الله
عزَّوجلَّ بالدُّعاءِ أنْ يُنبتَّهم، فالدُّعاءُ من أقوى ما يُعينُ المسلمَ
على ذلك، فعن جابرِ بن عبدِ الله قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم: "إنَّ الدُّعاءَ سلاحُ المؤمن".⁽¹⁾ وكان رسولُ الله صَلَّى
الله عليه وسلَّم يدعو لأصحابه بالنُّباتِ، ومن ذلك دعائه لعبدِ
الله بن رواحة: "وأنتَ فتنبتك اللهُ يا ابنَ رواحة، قال هشامُ: فتنبتَه
اللهُ أحسنَ النَّباتِ، قُتِلَ شهيداً، وفُتِحَتْ له الجنَّةُ ودخلها".⁽²⁾
ومن كان حريصاً على الدُّعاءِ يلهجُ به في كلِّ وقتٍ كان
تذكيراً له لاتخاذِ أسبابِ النَّباتِ والحذرِ من أسبابِ الزَّيغِ

1- مسند أبو يعلى 1812، 346/3.

2- المنتظم لابن الجوزي 350/3.

والانحراف؛ والدُّعاء فيه تذكيرٌ بمحاسبة النفسِ عن كلِّ مؤثرٍ على مسيرة القلب، ومن الأدعية في ذلك: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)، و(ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا)، و**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا آل عمران:147**، ولمّا كانت "قلوب بني آدم كلّها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ يصرّفه حيثُ يشاء، قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللهمَّ مصرفِ القلوبِ صرفِ قلوبنا على طاعتك".⁽¹⁾ ونجدُ كثيرًا من الأدعية تُركِّزُ على معنى الثَّبات، ومن ذلك دعاءُ عبد الله بن مسعود: "اللهِ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ"،⁽²⁾ وقال شداد بن أوس: "كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا كَلِمَاتٍ نَدْعُو بِهِنَّ فِي صَلَاتِنَا: اللهُ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ".⁽³⁾ ولقد استعانَ نبيُّ الله يوسف عليه السلام في الثَّباتِ أمام كيد النساءِ

1- أحمد 2، 168/6569، رواه الإمام أحمد ومسلم 2654، 2045/4،

باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء،

2- أحمد 3797، 400/1، 4340، 454/1.

3- أحمد 123/4-125، الترمذي، باب منه، 476/3470، ابن

حبان 1974، ذكر جواز دعاء المرء في صلاته بما ليس في كتاب الله جل

وعلا.

بالدُعاء، فتوجّه إلى ربه ومولا: **قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ** - يوسف:33.

خامساً: ذكرُ الله تعالى:

قال تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** - الأنفال:2، ذكرُ الله تعالى من أعظم أسباب التَّيْبِتِ.. تَأَمَّلْ في هذا الاقترانِ بين الثَّباتِ وذكرِ الله في قوله عزَّوجلَّ: **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً** - الأنفال:45. فجعلهُ من أعظم ما يعينُ المرءَ على الثَّباتِ في الجهاد، **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّثُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** - الأنفال:12.

ولقد استعانَ نبيُّ الله يوسفُ عليه السلام بذكرِ الله في الثَّباتِ أمامَ فتنةِ المرأةِ ذاتِ المنصبِ والجمالِ لما دَعَتْهُ إلى نفسها؟ ألم يدخلْ في حصنِ "معادَ الله"، فتكسَّرتِ أمواجُ جنودِ الشَّهواتِ على أسوارِ حصنه؟، **وَرَأَوْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَنُورًا إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** - يوسف:23. وكذا تكونُ

فاعليَّة الأذكار في تثبيت المؤمنين. وإذا غفلَ المؤمنُ عن ذكرِ الله تعالى جَنَّمَ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ على قلبه، وانبسطَ عليه، وبذرَ فيه أنواعَ الوَسَاوسِ، التي هي أصلُ الذُّنُوبِ كُلِّهَا، قال تعالى: **(اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** - المجادلة: 19، فإذا ذكرَ العبدُ ربَّه عزَّوجلَّ، واستعاذَ به انحنَسَ وانقبضَ. قال قتادة: "والله ما نسيَ قومٌ ذكرَ الله عزَّوجلَّ إلاَّ بَارُوا وَفَسَدُوا".⁽¹⁾ يقول ابن القيم: "إنَّ دوامَ ذكرِ الربِّ - تبارك وتعالى - يُوجبُ الأمانَ من نسيانه الذي هو سببُ شقاءِ العبدِ في معاشه ومعاذِهِ، فإنَّ نسيانَ الربِّ سبحانه وتعالى يوجبُ نسيانَ نفسه ومصالحها، قال تعالى: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** - الحشر: 19، وإذا نسيَ العبدُ نفسه أعرَضَ عن مصالحها ونسيها واشتغلَ عنها، فهلكَتْ وفسدَتْ ولا بد، كمن له زرعٌ أو بستانٌ أو ماشيةٌ أو غير ذلك، وممَّا صلاحه وفلاحه بتعاذه والقيام عليه فأهمله ونسيه، واشتغلَ عنه بغيره وضيعَ مصالحه، فإنَّه يفسدُ ولا بد".⁽²⁾

1- إغاثة اللهفان: ابن القيم 2/243.

2- الوابل الصيب 1/67.

سادساً: الحرصُ على سلوكِ طريقِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة:

إنَّ الطَّرِيقَ الوَحِيدَ الصَّحِيحَ الَّذِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
سَلُوكُهُ هُوَ طَرِيقُ السَّلَفِ الصَّالِحِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، طَرِيقُ
الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ وَالْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، أَهْلُ الْعَقِيدَةِ الصَّافِيَةِ، وَالْمَنْهَجِ
السَّلِيمِ، وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالذَّلِيلِ، وَالتَّمْيِيزِ عَنِ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَمُفَاصَلَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ، فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
قَالَ: قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثُمَّ خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"، قَالَ عِمْرَانُ: لَا أُدْرِي أذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ثُمَّ خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي،
ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ
أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ".⁽¹⁾

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي

1- رواه البخاري، 2507، 1139/2، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على
شهادة جور إذا أشهد.

ستفترقُ على ثنتين وسبعين فرقةً، كُلُّها في النَّارِ إِلَّا واحدةً، وهي الجماعةُ".⁽¹⁾

وإذا أردتَ أن تعرفَ قيمةَ هذا في الثَّباتِ فتأمَّلِ وسائلَ نفسك: لماذا ضلَّ كثيرٌ من السابقين واللاحقين وتحيرُوا، ولم تثبتْ أقدامُهم على الصُّراطِ المُستقيمِ، ولم يموتوا عليه؟ أو وصلوا إليه بعدَما انقضَى جُلُّ عمرهم، وأضاعوا أوقاتاً ثمينةً من حياتهم؟؟. فترى أحدهم يتنقَّلُ في منازلِ البدعِ والضلالِ من الفلسفةِ إلى علمِ الكلامِ والاعتزالِ، إلى التَّحريفِ والتَّأويلِ وإلى التَّفويضِ والإرجاءِ، ومن طريقةٍ ما في التَّصوِّفِ إلى طريقةٍ أخرى، فإن أردتَ الثَّباتَ فعليكِ بسبيلِ المؤمنين.

سابعاً: التَّربِيَةُ السَّليمةُ:

تعدُّ التَّربيةُ الإيمانيَّةُ العلميَّةُ الواعيَّةُ المتدرجةُ عاملاً أساسياً من عواملِ الثَّباتِ. فالتَّربيةُ لإيمانيَّةُ: هي التي تُحيي القلبَ والضميرَ بالخوفِ، والرجاءِ والمحبةِ، المنافيةِ للجفافِ النَّاتجِ من البُعدِ عن نُصوصِ القرآنِ الكريمِ والسُّنةِ النَّبويَّةِ الصَّحيحةِ، والعكوفِ على أقاويلِ الرِّجالِ.

1- رواه البوصيري في مصباح الزجاجة 4/180، وقال: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس أيضاً، ورواه أبو يعلى الموصلي.

1- **التَّربِيَةُ العِلْمِيَّةُ:** إِنَّ التَّربِيَةَ المَطْلُوبَةَ هِيَ القَائِمَةُ عَلَى الدَّلِيلِ الصَّحِيحِ، وَالمَنَافِيَّةُ لِلتَّقْلِيدِ، وَالأَمْعِيَّةُ الذَّمِيمَةُ. قَالَ الإِمَامُ الزَّهْرِيُّ: كَانَ مِنْ مَضَى مِنْ عِلْمَانِنَا يَقُولُونَ: إِنَّ الإِعْتِصَامَ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَشُرُ العِلْمَ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ العِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلُّهُ". (1)

2- **التَّربِيَةُ الوَاعِيَّةُ:** هِيَ التَّربِيَةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ سَبِيلَ المَجْرِمِينَ، وَتَدْرُسُ خَطَأَ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ، وَتَحِيطُ بِالوَاقِعِ عِلْمًا، وَبِالأَحْدَاثِ فَهَمًّا وَتَقْوِيمًا، هِيَ التَّربِيَةُ المَنَافِيَّةُ لِلانْغِلَاقِ، وَالبَعِيدَةُ عَنِ التَّفَوُّعِ عَلَى البَيِّنَاتِ الصَّغِيرَةِ المَحْدُودَةِ.

3- **التَّربِيَةُ المَتَرَجَّةُ:** هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ بِيَدِ المَسْلَمِ شَيْئًا فَشَيْئًا، تَرْتَقِي بِهِ فِي مَدَارِجِ الكَمَالِ البَشَرِيِّ بِتَخْطِيطِ موزونٍ، دُونَ الإِرْتِجَالِ وَالتَّسْرِعِ وَالقَفْزَاتِ الَّتِي تُحَطِّمَةُ.

ثَامِنًا: النُّقَّةُ بِالطَّرِيقِ:

لَا شَكَّ أَنَّهُ كَلَّمَا زِدَادَتْ النُّقَّةُ بِالطَّرِيقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا المَسْلَمُ، كَانَ ثَبَاتُهُ عَلَيْهِ أَكْبَرَ. وَلهَذَا وَسَائِلُ مِنْهَا:-

1- اسْتِشْعَارُ أَنَّ الصِّرَاطَ المَسْتَقِيمَ الَّتِي تَسْلُكُهَا لَيْسَ جَدِيدًا، وَلَا وِلِيدَ زَمَانِكَ، وَأَمَّا هُوَ طَرِيقٌ قَدِيمٌ قَدْ سَارَ فِيهِ مِنْ قَبْلِكَ الأَنْبِيَاءُ

والصديقون والعلماء والشهداء والصالحون، فتزول غربتك، وتتبدل وحشتك أنساً، وتتحوّل كآبتك فرحاً وسروراً، لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج.

2- الشعور بالاصطفاء: قال الله عزّوجلّ: **قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى** النمل:59، وقال تعالى: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** فاطر:32. وقال تعالى: **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَّبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنمِّئُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ** يوسف:6. وكما أنّ الله اصطفى الأنبياء فالصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء، وهو ما ورثوه من علوم الأنبياء.

3- ماذا يكون شعورك لو أنّ الله تعالى خلقك جماداً، أو دابةً، أو كافراً ملحداً، أو داعيةً إلى بدعةٍ وضلالةٍ، أو فاسقاً، أو مسلماً غير داعيةٍ لإسلامه، أو داعيةً في طريقٍ ذي عوجٍ؟ ألا ترى أنّ شعورك باصطفاء الله تعالى لك، وأن جعلك داعيةً من أهل الحق من عوامل ثباتك على المنهج الصحيح؟.

تاسعاً: ممارسة الدعوة إلى الله عزّوجلّ:

إنّ النفس البشرية إنّ لم تتحرك تأسن، وإن لم تتطلق تتعفن، ومن أعظم مجالات انطلاق النفس: الدعوة إلى الله، فهي وظيفة الرسل عليهم السلام، ومخالصة النفس من العذاب، فيها تتفجّر

الطَّاقَاتُ، وَتُنَجَّرُ الْمُهِمَّاتُ، قَالَ تَعَالَى: **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ** الشورى:15. وَلَيْسَ يَصِحُّ شَيْءٌ يُقَالُ فِيهِ: "فَلَانٌ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ"، فَإِنَّ النَّفْسَ إِنْ لَمْ تُشْغَلْهَا بِالطَّاعَةِ شَغَلَتْكَ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَالدَّعْوَةُ إِلَى الْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ تَكُونُ بِبَدْلِ الْوَقْتِ، وَكَدِّ الْفِكْرِ، وَسَعْيِ الْجَسَدِ، وَانْتِطَاقِ اللِّسَانِ، بِحَيْثُ تَصْبِحُ الدَّعْوَةُ هَمَّ الْمُسْلِمِ وَشُغْلَهُ الشَّاعِلِ، الَّذِي يَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَى مَحَاوَلَاتِ الشَّيْطَانِ بِالْإِضْلَالِ وَالْفِتْنَةِ. زِدْ عَلَى ذَلِكَ مَا يَحْدُثُ فِي نَفْسِ الدَّاعِيَةِ مِنَ الشُّعُورِ بِالتَّحَدِّيِّ تَجَاهَ الْعَوَائِقِ، وَتَجَاهَ الْمَعَانِدِينَ وَأَهْلَ الْبَاطِلِ، وَهُوَ يَسِيرُ فِي مَشْوَارِهِ الدَّعْوِيِّ، فَيِرْتَقِي إِيمَانَهُ، وَتَقْوَى أَرْكَانَهُ، فَتَكُونُ الدَّعْوَةُ بِالْإِضَافَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ، وَالْحِمَايَةِ مِنَ التَّرَاجُعِ وَالتَّقَهُّرِ، لِأَنَّ الَّذِي يُهَاجِمُ لَا يَحْتَاجُ لِلدَّفَاعِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مَعَ الدُّعَاةِ يُنَبِّئُهُمْ وَيَسُدُّ خَطَاهُمْ، وَالدَّاعِيَةُ كَالطَّيِّبِ لَا يُحَارِبُ الْمَرِيضَ إِثْمًا يَحَارِبُ الْمَرِيضَ بِخَبْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، وَبِمَحَارِبَتِهِ فِي الْآخِرِينَ فَهُوَ أَبْعَدُ مِنْ غَيْرِهِ عَنِ الْوُقُوعِ فِيهِ.

عَاشِرًا: الْإِلْتِفَافُ حَوْلَ الْعُنَاصِرِ الْمُتَّبَعَةِ:

إِنَّ مِنَ الْعُنَاصِرِ الْمُتَّبَعَةِ الْإِلْتِفَافُ حَوْلَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَهُمْ الْمَشْهُودُ لَهُمْ بِالصِّدْقِ وَالتَّقْوَى، أَوْلَئِكَ السَّائِرِينَ عَلَى نَهْجِ أُمَّةِ

أهل السنّة والجماعة، إنّ الالتفاف حولهم عاملٌ معينٌ على الثّبات، وعدم الزّيع والانحراف في وقت الفتن والشّدائد والابتلاءات، وكيف لا وهم أنصارُ شرعِ الله عزّوجلّ، والذين يُبَيِّنُونَ لِلنَّاسِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، والهدى من الضلال، فلا بدّ من الالتفاف حولهم بحضورِ دروسهم ومجالسهم العلميّة، وزيارتهم باستمرارٍ، ومشاورتهم، حتّى لا تنقطعُ علاقتنا بهم، وحتّى لا يجدُ أعداءُ الإسلامِ فجوةً يستطيعون الدخولَ عن طريقها، للنيلِ من الإسلام، ولا يُتركُ المجالُ لأعداءِ الإسلامِ كي يَبْنُوا سمومهم ومقالاتهم المشبوهة، لزراعةِ التّقّةِ بين العلماء والمجتمعِ بصفةٍ عامّة، وبين العلماء وشبابِ الصّحوةِ بصفةٍ خاصّة.

وإنّ البحثَ عن العلماء والصالحين والدعاة المؤمنين، والالتفافَ حولهم مُعينٌ كبيرٌ على الثّبات. وقد حدثت في التّاريخ الإسلامي فتناً ثبّت اللهُ تعالى فيها المسلمين بالعلماء الصالحين والدعاة العاملين. وعندما يتعرّضُ المسلمُ لفتنةٍ وبيئته ربه عزّوجلّ ليمحصّه، يكونُ من عواملِ الثّباتِ أن يقبضَ اللهُ له رجلاً صالحاً يعظه ويبيّنه، فتكونُ كلماته الطّيبة دواءً شافياً ينفعُ اللهُ تعالى بها، فتقوي عزائمَه وتثبته على الحقّ. والصّديقُ الصالحُ من أكبرِ المُعيناتِ على استقرارِ القلب، ولقد مثله النبيُّ عليه السلام بحاملِ المسك، والمؤمنُ مرآةَ أخيه، وكلُّ قرينٍ

يقتدي بقريته؛ فاخياره صالحاً سبب من أسباب الثبات. قال الله تعالى: **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**. تلك العناصر الصالحة التي من صفاتها ما أخبرنا به عليه الصلاة والسلام: "إن من الناس ناساً مفاتيح للخير، مغاليق للشر".⁽¹⁾ فإن هذا يفيد الإنسان كثيراً، ويدعوه إلى محاكاتهم، والنسج على منوالهم، ونقل العثرات، وتسلم الخطوات.

عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: "عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلّم المؤمن..".⁽²⁾ ومن ذلك: ما قاله علي بن المديني رحمه الله تعالى: "أعز الله الدين بالصدق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة". وتأمل ما قاله ابن القيم رحمه الله عن شيخه شيخ

1- حديث حسن رواه ابن ماجه رقم 237 عن أنس مرفوعاً، وابن أبي عاصم في كتاب السنة 127/1 وانظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم 1332.

2- الحاكم 387، 197/1، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فإني لا أعلم خلافاً بين أصحاب عبد الله بن المبارك في إقامة هذا الإسناد عنه ولم يخرجاه وله شاهدان. الترمذي 4/2165، 465، باب ما جاء في لزوم الجماعة، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

الإسلام في التَّثْبِيْتِ: "وَكُنَّا إِذَا اشْتَدَّ بِنَا الْخَوْفُ، وَسَاءَتْ بِنَا الظُّنُونُ، وَضَاقَتْ بِنَا الْأَرْضُ أَتَيْنَاهُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَرَاهُ وَنَسْمَعَ كَلَامَهُ فَيَذْهَبُ ذَلِكَ كُلُّهُ عَنَّا، وَيَنْقَلِبُ انْشِرَاحًا وَقُوَّةً وَيَقِينًا وَطَمَآنِينَةً، فَسُبْحَانَ مَنْ أَشْهَدَ عِبَادَهُ جَنَّتَهُ قَبْلَ لِقَائِهِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَهَا فِي دَارِ الْعَمَلِ، وَأَتَاهُمْ مِنْ رَوْحِهَا، وَنَسِيَمِهَا وَطَيْبِهَا مَا اسْتَفْرَعَتْ قَوَاهِمُ لَطَلِبِهَا وَالْمَسَابِقَةَ إِلَيْهَا".⁽¹⁾ وهنا تبرزُ الأخوةُ الإسلاميَّةُ كمصدرٍ أساسيٍّ للتَّثْبِيْتِ، فأخوانك الصالحون والقِدْوَاتُ والمُرِيُونُ هم العونُ لك في الطَّرِيقِ، والركنُ الشَّدِيدُ الذي تأوي إليه فَيَثْبُتُوكَ بما معهم من آيَاتِ اللَّهِ والحكمةِ، الرِّمْمُ، وَعِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ، وَإِيَّاكَ وَالْوَحْدَةَ، فَتَنْخَطِفُكَ الشَّيَاطِينُ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّنْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ.

الحادي عشر: الثَّقَّةُ بِنَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ لِلْإِسْلَامِ:
 إِنَّ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ بِحَاجَةٍ إِلَى الثَّبَاتِ كَثِيرًا لِتَأْخُرِ النَّصْرَ،
 وَحَتَّى لَا تَنْزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا، قَالَ تَعَالَى: **وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ
 مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا
 وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا
 أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ
الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ - آل عمران: 146-148.

ولمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُثَبِّتَ أَصْحَابَهُ
الْمُعَذِّبِينَ أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ لِلْإِسْلَامِ فِي أَوْقَاتِ التَّعْذِيبِ
وَالْمَحْنِ، جَاءَ فِي حَدِيثِ خَبَابِ بْنِ الْأُرْتِ مَرْفُوعاً عِنْدَ الْبُخَارِيِّ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ
حَتَّى يَسِيرَ الرَّكْبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ
وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ".⁽¹⁾ فَعَرَضُ أَحَادِيثِ الْبَشَارَةِ بِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ
لِلْإِسْلَامِ عَلَى النَّاشِئَةِ مَهْمٌ جَدًّا فِي تَرْبِيَّتِهِمْ عَلَى الثَّبَاتِ.

نعم إِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ لِهَذَا الدِّينِ لِأَنَّهُ مِنْهُجٌ حَيَاةٍ لِلْبَشَرِيَّةِ، يَشْتَمَلُ
عَلَى كُلِّ الْمُقَوِّمَاتِ الْمُنْتَظَمَةِ لِشَتَى جَوَانِبِ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَلَقَدْ
كَافَحَ الْإِسْلَامُ - وَهُوَ أَعَزْلٌ - لِأَنَّ عِنَصَرَ الْقُوَّةِ كَامِنٌ فِي
طَبِيعَتِهِ، وَكَامِنٌ فِي بَسَاطَتِهِ، وَكَامِنٌ فِي وَضُوحِهِ وَشَمُولِهِ،
وَمَلَائِمَتِهِ لِلْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَتَلْبِيَّتِهِ لِحَاجَاتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ، وَأَعْدَاؤُهُ
يَحَارِبُونَهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ، وَلِأَنَّهُ يَقْفُ عَائِقًا أَمَامَهُمْ عَنِ تَحْقِيقِ

1- رواه البخاري في أكثر من موضع من صحيحه، منها:
1398/3639، 3، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من
المشركين بمكة، 6544، 6/2546، باب من اختار الضرب والقتل والهوان
على الكفر.

أهدافهم الاستعماريّة الاستغلاليّة، ولكنّ الذي لا شكّ فيه أنّ الإسلام سينتصرُ كما انتصرَ في السّابق، وسيكونُ المستقبلُ لهذا الدين. (1)

فمن طبيعة المنهج الذي يرسمه الإسلام، ومن حاجة البشرية إلى هذا المنهج نستمدُّ نحنُ المسلمين يقيننا الذي لا يتزعزعُ في أنّ المستقبلَ للإسلام، وأنّ له دوراً كبيراً في هذه الأرض، دوراً في قيادة البشرية، خاصةً بعدُ أن أثبتَ الواقعُ البشريُّ إفلاسَ كلّ النُظم والمذاهبِ في مناهجها وتشريعاتها وعقائدها، إنّ الإسلام مدعوٌ لأداء دورهِ في المستقبلِ القريبِ، أرادَ أعداؤه أم لم يُريدوا. (2)

الثاني عشر: الإيمانُ بالقدرِ يهونُ على المؤمنين البلاء:-

إنّ ما ينزلُ بالمؤمنين من المصائبِ والشّدائدِ ليست ضرباتٍ تقعُ هكذا ضربةً لازبٍ، ولا هي خبطٌ عشواءٍ، ولكنّه يُصيّبهم وفقَ قدرِ الله تعالى المعلوم، ووفقَ قضائه المرسوم، ووفقَ حكمته وكتابته، قال تعالى: **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا** الفرقان: 2، وقال: **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا** الأحزاب: 38، وقال: **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**

1- انظر المستقبل لهذا الدين ص 5.

2- المصدر السابق ص 92-93.

الأحزاب:38، **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** القمر:49، فآمن المؤمنون الصادقون بأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، قال تعالى: **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** الحديد:22، وعرفوا أن من صفة الله تعالى أن يقدر ويلطف، ويبتلي ويخفف، ومن ظن انفكك لطف الله تعالى عن قدره فذلك لقصور نظره **إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** يوسف:100. وعرفوا من لطف ربهم تعالى أن هذه الشدائد دروس قيمة لهم، وتجارب نافعة لدينهم ودنياهم، تصفي نفوسهم، وتصفل إيمانهم، وتذهب صدأ قلوبهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك أو الحمى كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها، ويبقى طيبها".⁽¹⁾ وما أبلغ ما قال الراجعي: "ما أشبه النكبة بالبيضة، تحسب سجناً لما فيها، وهي تحوطه، وتربيته وتعيته على تمامه، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة، والرضى إلى غاية، ثم تتقف البيضة، فيخرج خلق آخر. وما المؤمن في دنياه

1- الحاكم 499،1289/1، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم

يخرجاه.

إلا كالفرخ في بيضته: عمله أن يتكوّن فيها، وتاممه أن ينبثق شخصه الكامل فيخرج إلى عالمه الكامل".

الثالث عشر: معرفة حقيقة الباطل ومخططاته، وعدم الاغترار به مهما تجبّر وتكبر:

قال الله عزوجل: **لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ** آل عمران: 196، ففي هذا تسرية عن المؤمنين وتثبيت لهم. وقوله عزوجل: **فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً** الرعد: 17، عبرة لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له، ومن طريقة القرآن الكريم فضح أهل الباطل وتعرية أهدافهم ووسائلهم، قال تعالى: **وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتبينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ** الأنعام: 55، حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة، وحتى يعرفوا من أين يؤتى الإسلام. وكم سمعنا ورأينا حركات تهاوت، ودعاة زلت أقدامهم، فتساقطوا وفقدوا الثبات لما أتوا - بسبب جهلهم بأعدائهم - من حيث لم يحتسبوا.

الرابع عشر: استجماع الأخلاق المعينة على الثبات:-

ومن ذلك:

1- العلم الشرعي: إن العلم الشرعي مطلب مهم في الثبات على الحق ومواجهة الفتن. فالمسلم يجب أن يكون على علم وبصيرة من أمر دينه، وإذا فقد المسلم العلم الشرعي تخبط وزاغ،

ولم يثبت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه: "إنَّ نورَ النبوةِ وشمسَ الرِّسالةِ يحصلُ به الهدى والصوابُ، ويزولُ به عن القلوبِ الشُّكُّ والارتيابُ".⁽¹⁾ وقال: "إذا انقطعَ عن النَّاسِ نورُ النبوةِ وقعوا في ظلمةِ الفتنِ، وحدثتِ البدعُ والفجورُ، ووقع الشرُّ بينهم".⁽²⁾ قال الله تعالى: **وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** الحج:54، **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** سبأ:6، **يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** المجادلة: من الآية11، ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يتقاربُ الزمانُ، ويقبضُ العلمُ، وتظهرُ الفتنُ، ويُلقى الشُّحُّ، ويكثرُ الهرجُ، قالوا: وما الهرجُ يا رسولَ الله؟ قال: القتلُ".⁽³⁾ وقال رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنَّ من أشرارِ السَّاعةِ أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ ويظهرَ الجهلُ".⁽⁴⁾ وعن عبدِ الله

1- دره تعارض العقل والنقل 103/2.

2- مجموع الفتاوى 310//17.

3- سبق تخريجه.

4- البخاري 2497/6423،66، باب إثم الزناة، وقول الله تعالى "ولا يزنون"، "ولا تقربوا الرِّنا إنَّه كان فاحشةً وساءَ سبيلاً".

بن عمرو بن العاص يقول: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤْسَاءَ جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا".⁽¹⁾ وكتبَ عمرُ بن عبد العزيزِ إلى أبي بكرٍ بن حزم: "انظر ما كان من حديثِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاكتبه، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تَقْبَلُ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْتَفُشُوا الْعِلْمَ، وَلتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا".⁽²⁾ وعن أبي موسى الأشعري عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: "ثُمَّ مِثْلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمِثْلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ، أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةً، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكْتُ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقُوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تَنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فُقِدَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ

1- البخاري 1، 50/100، باب كيف يقبض العلم، مسلم 2673،

2059/4، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان.

2- المصدر السابق.

رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به".⁽¹⁾ وقال ربيعة: لا ينبغي لأحدٍ عنده شيءٌ من العلم أن يُضَيِّع نفسه".⁽²⁾

2- الصَّبْرُ: إنَّ الصَّبْرَ من أقوى الأخلاقِ المُعِينَةِ على الثَّباتِ، والصَّبْرُ المطلوبُ هو: عدمُ استعجالِ النَّتائجِ قبلَ أوانِها، وألَّا يخطوَ المرءُ خطوةً قبلَ أنْ يَحِينَ وقتُها، ومنه: الظهورُ بالاستقامةِ والتَّجَلُّدِ، وعدمِ التَّفَهُّرِ عندَ مواجهةِ المِحْنِ والشَّدائِدِ، ومنه: ألاَّ يساورَ اليأسُ والوهنُ القلبَ إذا تَأَخَّرَ ظهورُ النَّتائجِ المرجوَّةِ بعدَ بذلِ الجُهدِ المطلوبِ، ومنه ألاَّ تزلَّ الأقدامُ عن طريقِ الحقِّ إذا ما تَعَرَّضَ صاحبُها لرهبةٍ وخوفٍ، أو رغبةٍ وطمعٍ، مع الهدوءِ ورجاحةِ العقلِ، وركودِ القلبِ وسكونِ الإرادةِ القويَّةِ.⁽³⁾ يقول ابن القيم: "ومن أنواعِ الصَّبْرِ: الصَّبْرُ على أقضيته، والصَّبْرُ على أوامره، والصَّبْرُ عن نواهيه، والصَّبْرُ مع الله: هو الثَّباتُ معَه على أحكامِهِ يدورُ معها حيثُ دارت،

1- البخاري 79، 42/1، باب فضل من علم وعلم.

2- المصدر السابق: باب رفع العلم وظهور الجهل.

3- تذكرة الدعاة: أبو الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة- بيروت-

فَيَكُونُ دَائِمًا مَعَ اللَّهِ لَا مَعَ نَفْسِهِ، فَهَوَ مَعَ اللَّهِ بِالْمَحَبَّةِ
وَالْمُوَافَقَةِ".⁽¹⁾

ولقد مدح الله تعالى الصَّابِرِينَ فقال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** -
البقرة:153، وقال تعالى: **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** -
البقرة:155 وقال تعالى: **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ
فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** - آل عمران:146، وقال تعالى: **وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّزِعُوا فَتَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ** - الأنفال:46، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ".⁽²⁾ وأشدُّ الصَّبْرِ
عندَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا
الصَّبْرُ ثَمَّ الصَّدْمَةُ الْأُولَى"،⁽³⁾ وإذا أُصِيبَ المرءُ بما لم يتوقَّعْ

1- عدة الصابرين 37/1.

2- البخاري 1400، 435/2، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة.

3- البخاري 1، 430/1223، باب زيارة القبور، وانظر مثله:

1، 430/1240، باب الصبر ثم الصدمة الأولى، مسلم 22، 637/926،

باب في الصبر على المصيبة ثم الصدمة الأولى.

تحصلُ النَّكْسَةُ، ويزولُ النَّبَاتُ إذا عُدِمَ الصَّبْرُ، ولَمَّا أُصِيبَ المسلمون في أحدٍ لم يكونوا ليتوقَّعوا تلكَ المصيبةَ، لأنَّ الله تعالى وعدَّهم بالنَّصْرِ، فعَلَّمهم الله تعالى بدرسٍ شديدٍ، مخضوبٍ بالدَّماءِ والشَّهداءِ: **أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** - آل عمران: 165، أي ماذا حصلَ من عندِ أنفسِهِمْ؟ فَسَلِّتُمْ وتنازَعْتُمْ في الأمرِ، وعصيْتُمْ من بعدِ ما أراكم ما تُحِبُّونَ، لأنَّ منكم من يريدُ الدُّنيا، ولم يصبرِ، وصحَّ في سننِ الترمذي عن أبي ثعلبة الخشني عن النبي عليه السلام قال: "حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شَحًّا مَطَاعًا وَهُوَ مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَةِ نَفْسِكَ، وَدَعِ الْعَوَامَ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا: الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلَ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ".⁽¹⁾ وتأمَّلْ فيما قاله ابنُ الجوزي رحمه الله: "قَدْ خُذِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ عِنْدَ مَوْتِ أَحْبَابِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ خَرِقَ ثَوْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَطَمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَرَضَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا كَبِيرًا قَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ وَكَانَ يُحَافِظُ عَلَى الْجَمَاعَةِ فَمَاتَ وَوَلَدٌ لَابِنْتِهِ، فَقَالَ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَدْعُو فَإِنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ

1- رواه الترمذي 2260، 526/4.

يُعَانِدُنَا فَمَا يَتْرُكُ لَنَا وَادَا فَعَلِمْتُ أَنَّ صَلَوَاتَهُ وَفِعْلَهُ لِلْخَيْرِ عَادَةٌ
لَأَنَّهُ لَا يَنْشَأُ عَنِ مَعْرِفَةٍ وَإِيمَانٍ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَلَى
حَرْفٍ". (1)

السادس عشر: التأمُّلُ في نعيمِ الجَنَّةِ وعذابِ النَّارِ، وتذكُّرِ
الموتِ:

إنَّ الجَنَّةَ بلادُ الأفراحِ، وكشفُ الأحزانِ، ومأوى رحالِ
المؤمنينَ، والنَّفْسُ مجبولةٌ على عدمِ التَّضحيةِ والعملِ والنَّبَاتِ إلاَّ
بمقابلٍ يُهَوِّنُ عليها الصَّعَابَ، ويذللُ لها عقباتِ ومشاقِ الطَّرِيقِ.
فالذي يعلمُ الأجرَ تَهَوَّنُ عليه مشقةُ العملِ، وهو يسيِّرُ ويعلمُ بأنَّه
إذا لم يثبتْ فستفوتهُ جنَّةٌ عَرَضُهَا السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، ثمَّ إنَّ
النَّفْسَ تحتاجُ إلى ما يَرَفَعُهَا مِنَ الطِّينِ الأَرْضِيِّ، ويجذبُهَا إلى
العالمِ العُلَوِيِّ.

وكان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكُرُ الجَنَّةَ في تثبيتِ
أصحابِهِ، ففي الحديثِ الحسنِ الصَّحِيحِ مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَاسَرَ وَعَمَّارَ وَأُمَّ عَمَّارَ وَهُمْ يُؤَدِّونَ فِي اللهِ تَعَالَى
فَقَالَ لَهُمْ: "صَبِرًا آلَ يَاسِرٍ، صَبِرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ

1- الثبات عند الممات: لابن الجوزي، تحقيق: عبد الله الليثي الأنصاري،
مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - الطبعة الأولى، 1406هـ، ص 34.

الجَنَّةِ"⁽¹⁾، وكذلك كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول للأَنْصار: "إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ".⁽²⁾ وكذلك من تَأَمَّلَ حَالَ الْفَرِيقَيْنِ فِي الْقَبْرِ وَالْحَشْرِ، وَالْحَسَابِ وَالْمِيزَانِ، وَالصَّرَاطِ، وَسَائِرِ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ. كَمَا أَنَّ تَذَكُّرَ الْمَوْتِ يَحْمِي الْمُسْلِمَ مِنَ التَّرَدِّي، وَيُوقِفُهُ عِنْدَ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَتَعَدَّاهَا. لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْمَوْتَ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَأَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ تَكُونُ بَعْدَ لِحْظَاتٍ، فَكَيْفَ تُسْأَلُ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَزِلَّ، أَوْ يَتِمَادَى فِي الْإِنْحِرَافِ، إِنَّ تَذَكُّرَ الْمَوْتِ وَتَوَقُّعَ فَجْأَتِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ تَجْعَلُ الْمَرْءَ دَائِمًا الْإِسْتِعْدَادَ لِلْقَائِهِ، حَرِيصًا عَلَى ثِبَاتِ قَلْبِهِ، وَاسْتِمْرَارِ عَطَائِهِ، وَأَجَلٍ هَذَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ".⁽³⁾ قَالَ ابْنُ قَيْمٍ الْجُوزِيَّةَ: "فَإِذَا فَكَّرَ فِي

-
- 1- الحاكم 432/3، 5645، ذكر مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه. الطبراني: المعجم الأوسط 1508، 141/2. وهو حديث حسن صحيح، انظر تخريجه في فقه السيرة تحقيق الشيخ الألباني ص 103.
- 2- مسلم 1061، 738/2، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه، البخاري 3581، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصار اصبروا حتى تلقوني على الحوض.
- 3- رواه الترمذي 50/2، 639/4، الحاكم 790، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وصححه الألباني في إرواء الغليل 145/3

الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخسرتها وفنائها: أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا، وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت: أورثه ذلك الجد والاجتهاد، وبذل الوسع في اغتنام الوقت، وهذه الأفكار تُعلي همته، وتحببها بعد موتها وسفولها، وتجعله في وادٍ والناس في وادٍ". (1)

سؤال الثبات من الله تعالى:

إنَّ الثَّباتَ على الدِّينِ نعمةٌ من نعمِ الله تعالى، وليس هناك نعمةٌ أعظمَ على الإنسانِ من أنْ يُثبِّتَهُ اللهُ تعالى بقوله الثَّابِتِ، حتَّى يفارقَ هذه الحياةَ وهو على ذلك، فيلقَى اللهُ تعالى بحُسنِ الخاتِمةِ، وهذه غايةُ ما يطلبُهُ المسلمُ إنْ كانَ من ذوي الألبابِ. ولأنَّ مسألةَ الثَّباتِ على الدِّينِ قضيةٌ تُشغَلُ فكرَ المسلمِ فإنَّه يلزمُه أنْ يُكثِرَ من الدُّعاءِ بها، فقد كانَ رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُكثِرُ من قول: "يا مُقَلِّبَ القلوبِ ثبِّتْ قَلْبِي على دينِكَ". (2) وقد كان رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يخشى على

1- الفوائد 198/1

2- أحمد في المسند 12128، الترمذي 2140، 448/4، باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن، قال أبو عيسى وفي الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة وعبد الله بن عمرو وعائشة، قال الترمذي، وهذا حديث

نفسه أن يُداهنِ الجاهليَّةَ أو يلينَ لها، ولذلك خاطبَهُ رَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ
بفضله عليه بالتَّئيبِ، لأنَّه أخلصَ ولاءَه لله تعالى: **وَلَوْلَا أَنْ
تَبَّتْكَ لَفَدَّ كِدَّتْ تَرَكَّنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ
وَضِعْفَ الْمَمَاتِ** - الإسراء: 74-75.

والدارسُ لكتبِ السَّيْرِ والتاريخِ يَجِدُ من تَقَلُّبَاتِ البَشَرِ الشَّيْءَ
الكثيرَ، فلقد ذَكَرَ ابنُ كثيرٍ في كتابِ "البداية والنهائة" (1) قصةً
عجيبَةً حَصَلَتْ لشابٍ مُسْلِمٍ حولَ مَوْضوعِ النَّبَاتِ على الدِّينِ أو
الانتكاسة عنه - والعياذُ بالله-، فذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: أَنَّ
المسلمين كانوا في إِحْدَى الغزواتِ مُنْجِهينَ نَحْوَ العَدُوِّ، وكان
معهم شابٌ صالحٌ كثيرُ العبادَةِ، كان لا يَفْتُرُّ عن قِراءةِ القرآنِ
الكَرِيمِ، فَلَمَّا نَزَلُوا قُرْبَ مَوْطِنِ العَدُوِّ أَبْصَرَ هذا الشابُّ من نافذةِ
أحدِ المنازلِ فتاةً - من فتياتِ الرومِ - جميلةً جداً فوَقَعَ حُبُّها في
قَلْبِهِ، وتعلَّقَ بها كثيراً، فما كانَ منه إلاَّ أَنْ ذهبَ إليها
وصاحبها، ففَقَدَهُ المسلمون من الجيشِ، فلَمَّا سألوا عنه وجدوهُ قد
ذَهَبَ إلى تلكِ الفتاةِ، وعاشَ معها، وتركَ المسلمين وجيشهم،
فلَمَّا رَأَهُ المسلمون قد أَطَّلَّ عليهم من نافذةِ المنزلِ الذي ذهبَ

حسن. الحاكم 1، 607/1926، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم
ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح عن أنس بن مالك.

1- البداية والنهائة 64/11.

إليه، عندها اغتمَّ المسلمون بسببِ ذلك غمًّا شديدًا، وشقَّ عليهم مشقَّةً عظيمةً، فلمَّا كان بعدَ مُدَّةٍ مروا عليه وهو مع تلكِ المرأةِ في ذلكِ الحصنِ، فقالوا يا فلان ما فعلَ قرأتُكَ، ما فعلَ علمُكَ، ما فعلَ صيامُكَ، ما فعلَ جهادُكَ، ما فعلتُ صلاتُكَ، فقال اعلموا أَنِّي أُنْسِيتُ القرآنَ كُلَّهُ إِلَّا هذه الآيةَ **رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** سورة الحجر:2. فهذه نهايةُ شابٍ انتكسَ وارتكسَ، وتحوَّلَ من حالِ الثَّباتِ على الدِّينِ إلى حالٍ أُخرى، بسببِ نظره إلى الحرامِ. قالَ ابنُ الجوزي إنَّ هذا الشابَّ الشَّقِيَّ كانَ من المجاهدين، فلمَّا كانَ في بعضِ الغزواتِ والمسلمون محاصروا بلدةً من بلادِ الرُّومِ إذ نظرَ إلى امرأةٍ من نساءِ الرُّومِ في ذلكِ الحصنِ فهُويها، فراسلها ما السبيلُ إلى الوصولِ إليك؟ فقالت أن تَنْتَصِرَ، وتصدَّ إليَّ فأجابها إلى ذلك.

الْمُتَدَبِّبُ يَفْتِنُ النَّاسَ:

إنَّ الثَّباتَ مظهرٌ بارزٌ للاستقامة؛ لأنَّ المتذبذبَ المُتقلِّبَ لا يقدِرُ على الثَّباتِ، ولا يقوى على الاستقامة، وهو في الوقتِ نفسه فتنةٌ لغيره من النَّاسِ، ولقد حذرَ الصحابي حذيفه بن اليمان رضي الله عنه العلماءَ العبَّادَ لأنَّهم قِدوَةٌ: فقال: "يا معشرَ القُرَّاءِ استقيموا، فإنَّ أخذنمُ يميننا وشمالاً لقد ضلَّلتُم ضلالاً

بعيداً".⁽¹⁾ ولو أن ضلالَ وانحرافَ المُتَدَبِّبِ يقتصرُ عليه وحدهَ
لهانَ الأمرُ، ولكنْ يُفْتَنُّ بضلالِهِ آخرون. وقد كانَ من وسائلِ
أهلِ الكتابِ - وخاصةً من اليهودِ - في إثارةِ الفِتْنَةِ في صفوفِ
المسلمين: التظاهرُ بالدُّخولِ في الإسلامِ، ثمَّ الرَّدَّةُ عنه ليرتدَّ
معهم آخرون، وخاصةً ضعافُ الإيمانِ، أو الذين أسلموا حديثاً،
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ
آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. آل عمران:72،
فالسَّعِيدُ من وَفَّقَهُ اللهُ تعالى للثَّباتِ، وَخُتِمَ له بخيرٍ، وماتَ وهو
يعملُ عملَ أهلِ الجَنَّةِ، ورزقَهُ اللهُ تعالى التَّثْبِيتَ حينَ السُّؤالِ
في القبرِ، وفي الآخرةِ، قال اللهُ تعالى: **يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ
وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** إبراهيم:27

وعندَ التأملِ في الأحاديثِ الصَّحيحةِ عن الحوضِ من كتبِ
السُّنَّةِ تجدُ أناساً مُنعوا من ورودِهِ والشربِ، قال رسولُ اللهُ صَلَّى
اللهُ عليه وسلَّمَ: "أنا فرطُكم على الحوضِ، من وردَ شربَ، ومن
شربَ لم يظمأَ أبداً، وليردنَّ عليَّ أقوامٌ أعرَفهم ويعرفوني، ثمَّ
يُحالَ بيني وبينهم، فيقول إنهم مني، فيقالُ إِنَّكَ لا تدري ما

1- البخاري 6/2656/6853، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله تعالى واجعلنا للمتقين إماما.

عملوا بعدك، فأقولُ سحْقاً سحْقاً لمن بدَّلَ بعدي".⁽¹⁾ وفي روايةٍ أخرى: "وسَيُؤَخِّدُ أناسٌ دوني، فأقولُ يا ربِّ مني ومن أمّتي، فيقال: أما شعرتَ ما عملوا بعدك، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم"، قال ابن أبي مُليكة - أحدُ الرواة - يقولُ اللهمَّ إنّنا نعوذُ بك أن نرجعَ على أعقابنا، أو أن نُفتنَ عن ديننا".⁽²⁾ وكلمة: (ما برحوا يرجعون) تُوجي بالتراجع البطيء المتواصل المؤدّي إلى الهاوية، وربما يصعبُ الرجوعُ بعد طولِ الاستدراج، فهنيئاً لمن استدرَكَ نفسه لئلاً تزلَّ قدمه بعد ثبوتها.

الإسلامُ إيمانٌ وثباتٌ:

إنَّ الإسلامَ إيمانٌ وثباتٌ، ويوضِّحُ ذلك القولُ الجامعُ لرسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيانِ حقيقةِ الإسلامِ عندما سألهُ

1- مسلم 4/1793/2290، باب إثبات حوض رآه صلى الله عليه وسلم وصفاته.

2- مسلم 4/2293، 1794، باب إثبات حوض رآه صلى الله عليه وسلم وصفاته.

أحدُ أصحابِه: قلَّ لِي في الإسلامِ قولاً لا أسألُ عنه أحدًا بعدك؟
قالَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "قلَّ آمنتُ باللهِ ثمَّ استقمَّ".⁽¹⁾

أخي المسلم:

أُثِبْتُ عَلَى الْحَقِّ وَلَوْ كُنْتُ وَحْدَكَ، وَلَا بَدَّ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ طَرِيقَ النَّصْرِ، طَرِيقٌ طَوِيلٌ وَشَائِكٌ، وَمَلِيءٌ بِالْقُرُوحِ وَالْجُرُوحِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الثَّبَاتَ عَلَيْهِ مَعَ الْإِسْتِمْرَارِ فِيهِ هُوَ: عَيْنُ الْيَقِينِ، وَعَيْنُ الصَّوَابِ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ التَّضْحِيَاتِ هِيَ الثَّمَنُ الطَّبِيعِيُّ لِلنَّصْرِ الْمُرْتَقِبِ، وَانظُرْ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُؤُا بِالْآسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ البقرة: 214، وَقَدْ سَأَلَ رَجُلٌ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ: أَنْ يُمَكِّنَ أَوْ يُبْتَلَى؟ قَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا يُمَكِّنُ حَتَّى يُبْتَلَى، فَإِنَّ اللَّهَ ابْتَلَى نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدًا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَلَمَّا صَبَرُوا مَكَّنَهُمْ فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَخْلُصُ مِنَ الْأَلَمِ الْبَيْتَةِ. وَارْتِبَاطُ**

1- حديث أخرجه مسلم، حديث 38، وأخرجه الترمذي في "كتاب الزهد" "باب ما جاء في حفظ اللسان"، حديث 2410، وأخرجه ابن ماجه في "كتاب الفتن" "باب كف اللسان في الفتنة" حديث 3972.

النَّصْرِ وَالنَّمَكِينَ بِالْبَلَاءِ إِنَّمَا هُوَ يَكُونُ تَحْقِيقًا لِمَصْلَحَةِ أَهْلِ
 الْحَقِّ فِي مَهْمَةِ دَفْعِ الْبَاطِلِ، سِوَاءَ مَا كَانَ بِتَكْفِيرِ ذُنُوبِهِمْ، أَوْ بَرَفْعِ
 دَرَجَاتِهِمْ، فَعَنْ مِصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بِلَاءً، قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ،
 فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ حَسَبَ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ
 بِلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرُحُ
 الْبِلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرَكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ
 خَطِيئَةٌ".⁽¹⁾ هَذَا بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَمْثَلِ، فَالْأَمْثَلُ - الثَّابِتُونَ
 عِنْدَ الْبِلَاءِ - هُمْ: الْقَائِمُونَ بِدَفْعِ الْبَاطِلِ، وَمُجَاهِدَةِ أَهْلِهِ.

1- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان، تحقيق شعيب
 الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية، 1414هـ - 1993م،
 161/7، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. ومسند الإمام أحمد بن
 حنبل، مؤسسة قرطبة-القاهرة، الترمذي 2398، 601/4، باب ما جاء في
 الصبر على البلاء. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

المد تويدات

- 3 المقدمة
- 5 النَّبَاتُ اصطلاحاً
- 6 حماسٌ في بدايات الطريق
- 8 صورٌ ومواطنُ النَّبَاتِ
- 8 أولاً: النَّبَاتُ في الفتن
- 12 ومن أنواع الفتن
- 12 فتنة المال
- 13 فتنة الجاه والمنصب
- 17 فتنة الزوجة
- 18 فتنة الأولاد
- 19 فتنة الاضطهاد والطغيان والظلم
- 23 ثانياً: النَّبَاتُ أمامَ الأعداءِ بالنَّبَاتِ في الجهاد
- 27 ثالثاً: النَّبَاتُ على منهج الإسلام
- 28 رابعاً : النَّبَاتُ عند الممات
- 29 خامساً: النَّبَاتُ بالمدائمةِ على الطَّاعاتِ
- 31 سادساً: النَّبَاتُ في الشَّدائدِ والابتلاءات
- 34 سابعاً: النَّبَاتُ في أيام الصَّبْرِ

- 35 أسباب عدم الثبات واليقين
- 35 2- صحبة أقران السوء
- 37 3- الغفلة والنسيان
- 39 4- الإعجاب بالنفس
- 42 5- الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة المتأججة
- 43 6- اليأس
- 45 7- الجهل بأساليب أو طرق الثبات، أو الابتعاد عنها
- 47 11- إيجاد بعض الخصوم
- 48 12- الجهل بالسنن الربانية
- 56 الوسائل المعينة على الثبات
- 57 أولاً: الإقبال على القرآن الكريم تلاوةً وتدبراً وعملاً
- 59 لماذا كان القرآن مصدراً للتثبيت؟؟
- 59 ثانياً: التزام شرع الله، والعمل الصالح
- 60 ثالثاً: تدبر قصص الأنبياء والصالحين، ودراستها للناسي والعمل
- 65 خامساً: ذكر الله تعالى
- 67 سادساً: الحرص على سلوك طريق أهل السنة والجماعة
- 68 سابعاً: التربية السليمة
- 69 ثامناً: الثقة بالطريق

- 70 تاسعاً: ممارسة الدعوة إلى الله عزَّوجلَّ
- 71 عاشراً: الالتفاف حول العناصر المُنبَتَّة
- 74 الحادي عشر: التَّقَّةُ بنصرِ الله تعالى، وأنَّ المستقبلَ للإسلامَ
- 76 الثاني عشر: الإيمانُ بالقدرِ يهونُ على المؤمنين البلاء
- الثالث عشر: معرفةُ حقيقةِ الباطلِ ومخططاتِهِ، وعدمُ الاعتراضِ
- 78 به
- 78 الرابع عشر: استجماعُ الأخلاقِ المُعِينَةِ على الثَّباتِ
- السادس عشر: التَّأمُلُ في نعيمِ الجَنَّةِ وعذابِ النَّارِ، وتذكُّرِ
- 84 الموتِ
- 86 سؤالُ الثَّباتِ من الله تعالى
- 88 المُتَدَبِّبُ يَفْتِنُ النَّاسَ
- 90 الإسلامُ إيمانٌ وثباتٌ